من التُّراث الشَّعْبى

سِيَرة بنى هلال

ديـــــوان

بنـــات الأشـــراف

مَسْرحيّة باللّغة العَربيّة الفُصْحَى - شِعْرًا

إعـــــداد

عبد العزيز عبد المجيد النجار

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار الأديب للنشر والتوزيع

اسم الدار	دار الأديب للنشر والتوزيع
اسم الديوان	بنات الأشراف
اسم المؤلف	عبد العزيز عبد المجيد النجار
رقم الإيداع	(٢٧١٩٥ / ٢٠١٨) بدار الكتب المصرية
الإخراج الصحفي	(إيهاب القاضي)
الغلاف	من تصميمات الدار (محمد يحيى)

المقدِمـــة

بعد أن قدّمت ديوان السفيرة عزيزة وطبعته بمطابع دار الهلال– على هيئة مسرحية باللغة العربية الفصحى شعرًا . كان لزامًا علىّ أن أقدم للقراء الأعزاء قصة بنات الأشـــراف وهـــى إحدى دواوين السيرة الهلالية الغراء وفى نفس الوقت هى مكملة لأحداث الســـفيرة عزيـــزة . ووفقت بعون الله أن أُثنّى بهذه القصة أو الديوان على هيئة مسرحية أيضا بشعر الفصحى .

ولكنى أضفت فى هذا الديوان بعضا من مقاطع السيرة الهلالية بكلمات المرحـــوم الشـــاعر الهمام (فتحى سليمان) آثرت أن أدون له بعض المواويل التى أداها واستمعت إليه فيها والنابعة من أعماق ريفنا الأصيل – إضافة إلى بعض الأشعار بأسلوبه هو كما سردها فى لياليه الجميلة المنيرة . وتمييزًا لهذه المواويل وتلك الأشعار كُتبت بحروف مختلفة لكى أميزهـــا عـــن بقيـــة الديوان – حتى يتعرف عليها القارئ ويميزها وكم أود لكل قارئ للسيرة الهلاليـــة أن يحـــوز أشرطة الكاسيت أو (السى دى) التى بها أداء هذا الرجل العظيم وأسلوبه المميز بمصاحبة فرقته الموسيقية . فالاستماع إليه يسرد السيرة الهلالية متعة وأى متعة – وإننى أنصح كل من يهـــوى هذه السيرة أن يقتنى هذه الشرائط أو إسطوانات الكمبيوتر لكى يستمتع بالسمع والسلطنة الفعلية.

وعلاوة على ذلك فإن نظم هذا الديوان كالديوان السابق السفيرة عزيزة مع إضافة كليهما إلى المسرحيات التى نظمت شعرًا بلغة عربية فصحى – وهى قليلة – هو إشباع لمتعة القراءة . وقد استحثنى كل من قرأ السفيرة عزيزة على أن أكتب بنات الأشراف.

وها هى فى متناول اليد علاوة على أن أحداث هذه المسرحية كما ذكـــرت هـــى اســـتكمال لأحداث السفيرة عزيزة .

وكل هدفى من الكتابة هو وعد بإمتاع ومؤانسة القراء الأعزاء .

لا عدمنا تلك الصحوة المباركة لحب القراءة ودوام الإطلاع فنحن شعب قارئ ناقد. فـــإلى متعة القراءة . والله الهادى إلى الطريق السوىّ.

عبد العزيز النجار

٢٠١١/٨/٤

" نبذة عن أحداث مسرحية السفيرة عزيزة"

الفصل الأول:

لابد لقارئ مسرحية بنات الأشراف أن يعرف أحداث مسرحية السفيرة عزيزة فهى مقدمة لها. وأحداث بنات الأشراف مبنية على أحداث السفيرة عزيزة فما هى الأحداث التى هى بمثابة مقدمة لأحداث مسرحيتنا هذه؟

- قبيلة بنى هلال تعيش فى هضبة نجد فى شبه الجزيرة العربية وأرض نجد بها الزراعة على الآبار والعيون والأمطار تهطل الأمطار فتنمو الزراعات ويتوافر الكلأ والعشب للرعى – رعى الإبل والماشية والأغنام.

(وبنى هلال) ينتمون إلى قبيلة تغلب ومنهم كليب ملك العرب والمهلهل أخوه أبناء ربيعة ومنهم عمرو بن كلثوم صاحب إحدى المعلقات التى يفتخر فيها بقبيلته تغلب .. هذه هى قبيلة بنى هلال.. يحمون الذّمار ويغيثون الملهوف ويحمون الجار ويذودون عن الديار، عرفوا بين القبائل بتلك الصفات الحميدة، جيوشهم وفيرة العدد والعدة ولهم أيامهم الخالدة فى تاريخ العرب – فى أرض نجد النجود الخضراء.

- ولكن أتت سبع من السنوات الجدباء لم يهطل بها المطر وجفت العيون والآبار وقلت الخيرات وجاعت القبيلة.

وقاومت القبيلة هذا الجدب بشتى الطرق عامًا بعد عام.. لكن دون جدوى عم البؤس والشقاء والجوع

- ثم حدث ما غير هذه الأحداث تغييرًا جذريا .. إذ بينما كان سلطان بنى هلال : السلطان حسن بن سرحان جالسًا فى مجلس السلطنة ومعه أشراف القبيلة يتشاورون إذ دخل عليهم الحاجب مهرولا يلفت نظر السلطان والجالسين معه إلى أن أحد الأمراء الأشراف أتى من بلادٍ بعيدة يقود قافلة لا آخر لها من الجمال محملة بالغلال والدقيق والسمن والزيت والزبيب والتمور وكل ما تشتهيه القبيلة وعلاوة على ذلك فهو يبذر الذهب والفضة تحت أقدام رجال قبيلة بنى هلال.

- تعجب السلطان والحاضرون من ذلك وطلبوا من هذا الشريف الأمير أن يدخل عليهم وما هى حكايته..

وعندما دخل هذا الرجل أخبر الجميع بأن اسمه الأمير جبر القريشى من أشراف مكة الذين يحكمون بلادًا فى الغرب هى بلاد تونس الخضراء.. ولما سأله السلطان عن سبب مجيئه إلى بنى هلال قال له:

إنه كان حاكما على تونس الخضراء وكان معه الجيوش تحميه ولكن قبيلة بنى حَمير الذين هم كانوا حُرَّاسًا له انقلبوا عليه وقتلوا أمير جيوشه وأخذوا منه السلطنة عنوة واقتدارًا بقيادة الزناتى خليفة.

وأخبرهم أن تونس هذه فى بلاد الغرب وأنه ظل سنوات يبحث عن الجيوش التى تساعده فى استرداد عرشه فأخبره الجميع بأن قبيلة بنى هلال هى الوحيدة القادرة على مجابهة الزناتى العنيد وجيوشه القوية.

وأنه ظل يبحث من بلد إلى آخر إلى أن اهتدى إليهم. فأتى إليهم ولكى يفكوا أسر زوجته (ورد البها) التى سجنها الزناتى هى ومن معها ثلاثون أميرة.

- خلال الحديث يخبرهم جبر بأن أرض تونس لا تعرف الجدب كأرضهم فهى جنة الله فى أرضه – أنهار – آبار – عيون – أمطار – زراعات – جنة دائمة الخضرة والعطاء. وأن ما يبذره من الذهب والفضة لديه كما أن لديكم الرمل والحصى.
- وهنا يقرر السلطان اجتماع رؤساء القبيلة فتجتمع القبيلة وتأخذ قرارها : لابد من مساعدة الأمير جبر القريشى فى محنته لاسترداد تونس من قبضة الزناتى خليفة وجيوشه. ولكن كيف؟

أولاً : يذهب أحد الحكماء سرًّا إلى تونس لمعرفة هذه البلاد والطرق المؤدية إليها وما هى الأساليب الممكنة لاسترداد تونس وربما الإقامة بها.

ثانيا : من هو هذا الحكيم الماهر الذى يمتلك الحكمة والدهاء والقوة والذكاء ليقوم بهذه الخطوة بنجاح؟

ثالثا : تم اختيار الأمير (أبو زيد) الهلالى لهذه المهمة الصعبة الشاقة والسِّرّيّة.

- ما هى الأحداث التى تلت ذلك ؟

ولكن الأمير أبو زيد رفض أن يسير وحيدًا إلى هذه البلاد المجهولة بل اشترط أن يأخذ معه الأمراء: يحى ومرعى ويونس وهم أخوة السلطان حسن الأشقاء كشرط لذهابه لهذه المهمة العسيرة.

وفوجئ الجميع بهذا الطلب الفريد بل المفاجأة الأكبر أن الأخوة الثلاث قد وافقوا على الذهاب مع (أبى زيد) فى هذه الرحلة فأسقط فى يد السلطان وافق الجميع على هذه الرحلة وسميت هذه الرحلة باسم: الرِّيادة .. أى يرودون المغارب ويكشفون هذه البلاد وطرقها وما هى تونس ومن هم الذين يعيشون بها ؟ وما هى أبوابها ومداخلها ومخارجها لوضع الخطة للتحرك الصحيح إليها.

وجهزت القافلة وتوجهت ببركة الله إلى مبتغاها وهذا هو الفصل الأول من المسرحية.

الفصل الثانى :-

كان الوهيدى معبد حاكم تونس الخضراء، وأما أمير الجيوش فهو الزناتى خليفة..

الوهيدى معبد كان له ابنة تسمى عزيزة .. وهى أميرة الأميرات وجميلة الجميلات .. منع والدها الزواج عنها.

ورفض أى رجل يريد أن يتزوجها لشدة حب السلطان لابنته – ففى ظنه أن زوجها ربما يمنع والدها من رؤيتها – فأعد لها والدها قصرًا جميلاً .. عالى البنيان زينه بالذهب والفضة والجواهر الكريمة ومنع الاقتراب منه وزود القصر بالخدم والعبيد لإبقائه جنة فيحاء يطل على البحر من ناحية وعلى الصحراء من ناحية أخرى وزرع فيه البساتين والأشجار وأحاله إلى جنة خضراء وأمنية كل من يتمنى الحياة واشترى لها إحدى الوصيفات لخدمتها والإقامة معها لتؤنسها وهذه الوصيفة كانت تسمى (ميّ)

(ميّ): إحدى الشخصيات الهامة فى القصة فقد كانت (ميّ) هذه وصيفة للأمير يونس ابن الملك سرحان. ويونس هو أخ للسلطان حسن سلطان بنى هلال .. كان يونس يمتاز بالجمال.. جمالا يوسفيا رائعا.. وكانت ميّ وصيفة له – وفى سنوات الجدب أتى الشعراء إلى الأمير يونس ومدحوه وكان لزامًا عليه أن يعطيهم حتى لا يصفوه بالبخل .. فلم يجد لديه ما

يعطيه لهم وآثر ألا يردهم دون عطاء فلم يجد أمامه سوى أن يعطيهم الوصيفة (ميّ).. أخذها الشعراء.. فباعوها بدورهم للتجار وأخذوا ثمنها وأخذها التجار وباعوها بدورهم لمن أخذها وتوجه بها غربا إلى تونس الخضراء فاشتراها الوهيدى معبد لابنته عزيزة وأهداها إليها لتكون معها ونيسًا فى قصرها. وميّ هى وصيفة عزيزة.

دخلت (ميّ) قصر السفيرة عزيزة فبهرت بجمالها.. ولكنها كانت دومًا تخبرها بجمال سيدها الأمير يونس أمير نجد وأحد شبابها – فطلبت منها عزيزة أن تعدد صفاته: جمال عينيه ووجهه وصفاته وأخلاقه فذكرت لها أن يونس هذا أجمل من رأت فى حياتها.. فتعلقت عزيزة بحب يونس دون أن تراه وأصبح هو أمير أحلامها فى قصص تحكيها لها (ميّ).

- فلنترك عزيزة.. وميّ تحكى وتسرد لها عن أميرها الجميل.. ولنتركهما معا لنرى ماذا حدث لقافلة (أبى زيد) والأمراء الثلاثة معه والأحداث التى ستجمع بين عزيزة ويونس بتدبير من الله فملك الملوك إذا وهب لا تسألنَّ عن السبب.

تحركت القبيلة نحو الغرب تاركة أرض نجد إلى تونس نحو الغرب إلى أن وصلوا إلى مشارف تونس الخضراء جوعى مرهقين متعبين – وطلبوا من خالهم (أبى زيد) الطعام فقال لهم نفذ الطعام. ولا مال لدينا لقد نفد كل شئ فاصبروا..

وهنا تذكر أحد الأخوة أن أمه الملكة (شمّاء) كانت قد أعطتهم فرعًا من عقدها النادر – فرع من الجواهر والماس لا يقدر بثمن.. وقالت لهم بيعوه عند الضرورة.. وها هو الوقت.. فتذكر هذا الأخ الفرع الجوهر فطلب أبو زيد من يونس أن يرتدى ملابسه ويركب جملاً وينزل إلى السوق ليبيع هذا الفرع ويشترى بثمنه طعامًا ليأكلوا جميعا بعد هذا الجوع.

- طلب أبو زيد من يونس ألا يلتفت إلى أحد وخاصة نساء تونس لجمالهن ويعود سريعا بالطعام. ركب يونس الجمل ونزل إلى سوق تونس وعرض الفرع فأدهش كل من فى الصاغة وأخبروه بأن هذا العقد أغلى من كل أموالهم جميعا . وأن من يقدِّر هذا الفرع شخص واحد هو عزيزة ابنة سلطان تونس – وأرسل كبير الصاغة إلى امرأة عجوز وطلب منها أن ترافق الأمير يونس إلى قصر السفيرة عزيزة لتشترى هذا الفرع.

سار يونس مع العجوز وعند أبواب القصر دخلت هى وتركته وحيدًا – وما شاهدت ميّ هذا الفرع إلاَّ وتذكرت كل شئ وأخبرت سيدتها إن هذا الفرع من عقد سيدتها الملكة شماء والدة الأمير يونس.

واستعجبت كيف يأتى العقد إلى هنا. فقالت العجوز إن صاحبه يقف عند بوابة القصر ولما سألتها ميّ عن أوصافه قالت العجوز : إنه أجمل من رأيت على سطح الأرض من رجال.

فطلبت من العجوز أن تحضره بحجة التوقيع على العقد.. فدخل يونس ورأى السيدتين أعلى الدَّرج فنزلت ميّ تجرى وتسلم على سيدها وتقبل يديه وتبكى من الفرح وتقول لسيدتها إنه هو يا سيدتى إنه يونس فاسقط فى يد الجميع ما حدث ونزلت عزيزة من أعلى درج السلم لترحب بهذا الملاك الجميل وتنظر إليه باستغراب وبإعجاب إذا أن (ميَّ) لم تصف كل جماله فهو أجمل مما وصفت.

- صعد معها يونس إلى القصر مرهقا متعبا وأخبرهم بمن معه – فما كان من عزيزة إلاّ أن أمرت بإعداد سفرة عظيمة من الطعام وحملتها إحدى الخادمات فى صينية كبيرة على رأسها وتوجهت إلى المكان الذى حدده لهم يونس فأخذ يونس يتنفس الصعداء.

وطلبت عزيزة من الخادمة ألا تقول لهم أين يونس ومن بعث لهم بهذا الطعام وألا تنطق بحرف واحد فالأمر خطير.

- وفى قصر عزيزة كان الحب العذرى الذى جمع بين روحين بين قلب عزيزة وقلب الأمير يونس بوجود الوصيفة ميّ – كان يونس يرى أن الله يراقبه فى كل شئ ورأت عزيزة أنها يمكن أن تخاطب والدها فى زواجها من يونس – كانت قصة حب برئ عذرى يودان ختامه بأحلى خاتمة ألا وهو الزواج.

الفصل الثالث :-

- لكل جواد كبوة: جلس أبو زيد ويحى ومرعى فى انتظار يونس ولكن هذا طال غيابه ثم أقبلت الجارية تحمل صينية الطعام وسألوها عن مصدرها فلم تجب فمنع أبو زيد نفسه ومن معه من تناول الطعام فعادت به الجارية دون أن تخبر سيدتها.. خاف أبو زيد ربما يكون الطعام مسمومًا – أكلوا بعض الزاد ونام أبو زيد على فخذ الأمير مرعى وجلس الأميران

يتسامران فحدث أن إحدى النياق فكت قيودها ودخلت ترعى فى بستان الزناتى أمير الجيوش – قام العبيد ليردونها فأسرع مرعى ليرد الناقة فأدركه العبيد وطعنوه فى فخذه بالحربة فوقع على الأرض ينزف الدماء. صحا أبو زيد من نومه ورأى أمامه العبيد يحيطون بمرعى فأخذ أدوات الحرب وصار يقتل فى العبيد إلى أن قتل ثلاثين عبدًا .. وأخذ يعالج الجرح جرح مرعى .

- أسرع العبيد الباقون إلى الزناتى فى مجلس الوهيدى فأخبروه – فركب بالفرسان وحاصروا أبا زيد وقيدوه هو ومرعى ويحى وساروا بهم إلى مجلس الزناتى.
- وعند المرور إلى قصر الحكم مروا بقصر عزيزة ورآهم يونس فأغمى عليه من المفاجأة.
- عزيزة تنزل إلى قصر أبيها لترجوه أن يطلق الأسرى فيرفض الأب وتتأزم الأمور.
- فما كان من عزيزة إلا أن ذهبت إلى العلام (أبو غُديّه) فقد كان يحبها ويريد التقرب منها وهى رافضة فأسرع هذا ليلبى طلباتها وأحضر معه ثلاثين ألف دينار فداءً للعبيد ورضى الجميع بذلك – وأخذ العلام أبا زيد ومرعى ويحى إلى قصره – وعند مروره على قصر عزيزة اطمأن يونس عليهم..

المشهد الثالث والأخير:

عاد العلام مع أبى زيد ومرعى ويحى وحاول أبو زيد أن يكتم أسراره لكن دون جدوى استطاع العلام أن يدرك كل شئ ولكنه كتم ذلك عن الوهيدى والزناتى. وجاء يوم (البرجاس) فأهدى العلام إلى الفارس (أبو زيد) فرسه النعامه وتوجها إلى ملعب البرجاس فحاز أبو زيد الإعجاب من الجميع لبراعته وتغلب على أقوى الفرسان – وأراد أبو زيد أن يجمع شمل الإخوة فأرسلوا مرعى إلى قصر عزيزة متخفيا وأخذ يروى أشعارًا تورية ففهم يونس المقصد وأراد أن ينزل له – ولكن عزيزة ترجته ألا ينزل. فقال لها لابد أن أعود إلى خالى وأخوى فرجته أن يعود – فقال لها أعدك بأن أعود. وترك مسبحته عندها ونزل إلى باب القصر. ثم عاد ليأخذ المسبحة كما وعدها ثم ترك عزيزة جميلة الجميلات متوجها إلى أهله خاله وأخويه تاركا أغلى ذكرياته.

- وفى النهاية طلب العلام منهم ألا ينزلوا شوارع تونس ولكن أبا زيد نزل إلى الشوارع ليدرسها ويدرس مداخل البلدة ومخارجها فقبض عليهم مرة ثانية وأودعوا السجن. وفى السجن استطاعت عزيزة أن تأتى بأحد المهندسين وأمرته سرًّا أن يحفر سردابا بدرج إلى سجن يونس واستطاعت هى والأميرة سُعدى ابنة الزناتى خليفة الدخول سرًّا إلى السجن عبر هذا السرداب عزيزة لترى يونس وسعدى لترى مرعى الذى أحبته حبا جمًّا.

وكانت الأميرتان تحضران لهما الطعام وما يريدانه وينعم كل حبيب بلقاء حبيبه على مرأى ومسمع من أخيهما يحى وخالهما (أبو زيد) تبادلا حبا يانعًا عذريًّا هو نظرات وعبرات وتنهدات، حب ملؤه الطهر والبراءة – واستطاع العلام أن يخرج أبا زيد من السجن.

- وأما ما كان من أبى زيد فقد طلب من العلام حصانا مسرجًا وزادًا وزوادًا ليركبه ويتجه به شرقا إلى بلاد نجد النجود لكى يعود بالجيوش الكثيفة إلى تونس ويدق أبوابها (لابد من لطمة على باب طونس) لإنقاذ مرعى ويحى ويونس وكذلك بنات الأشراف وهذا ما سوف تتضمنه أحداث مسرحية بنات الأشراف التى بين أيدينا.

المؤلف

عبد العزيز النجار

٢٠١١/٨/٤

الفصل الأول

المشهد الأول

مقدمة : فى هذه الرحلة .. من تونس إلى أرض نجد .. أى من الغرب إلى الشرق – بكى أبو زيد فارس العرب , بكى كما لم يبك فى حياته .. بكى لأسباب كثيرة – أولها الوحدة , فهو وحيد والرحلة طويلة , لا معين له ولا أنيس .. بل لا احد معه يكلمه سوى صديقه .. حصانه.

وثانى الأسباب أنه ترك فلذات أكباده وقد أمّنه جميع الأهل عليهم وخاصة أمهم وأخوهم الأكبر ووثقوا فيه . وبكى متحسراً على ما سوف يقوله لقومه .. وكيف ترك الثلاثة فى سجن تونس وعاد بدونهم ؟ وما هو جوابه ؟ وماذا يكون ردُّه عندما يسأله القوم عنهم ؟

بل كيف سيدخل على القبيلة وحيداً ؟

بكى .. وبكى فى وحدته .. ولكنه حوَّل بكاءه هذا إلى داخل نفسه لينتقم من هؤلاء الظالمين .. الزناتى وجيوشه .. فقد سلب الزناتى جبراً القريشىْ مُلكه . وسجن زوجته مع بنات الأشراف وجلس الوهيدى معبد على كرسى سلطنة تونس , وأصبح الزناتى قائداً للجيوش .. وقد كان بنو حَمْير حُرَّاساً وخفراء للحكام من الأشراف فسطوْا على أسيادهم من الأشراف وسلبوهم ملكهم .

وقد أهان الزناتى أبازيد وقيَّده بالأغلال وزج به فى السجن لولا تدخل العلام أبو غُدَيَّه . وسجن يحى ومرعى ويونس .. فلابد من تأليب القبائل .. قبائل بنى هلال وما يجاورها ويعاهدها من القبائل , ولابد من تكوين جيشٍ للعودة به إلى تونس لفكِّ سجن الإخوة وكذلك بنات الأشراف والثأر لهم .

فأخذ أبو زيد يستحث حصانه – بل رفيقه – على الجرى بسرعة وأخذ يسترجع ما قاله من أبيات مخاطباً هذا الحصان الرفيق :

أبو زيد :

يـــا صـــاحبى طِرْبـــى إلـــى الأنْجـــادِ
واطْـــوِ الثَّـــرى بحواضـــرٍ وبَـــوَادِى

ودِّعْ بـــلاداً قـــدْ تركْـــتُ بأرضـــها
روحـــى وقلبـــى والكلـــيمَ فـــؤادِى

طِرْبـــــــى إلـــــــى نجـــــــدٍ لـــــــدقّ طبولِهـــــــا
لأعيـــــــــدَها للصَّـــــــــحْوِ دونَ رُقـــــــــادِ

كَلِـــــــفٌ بتريـــــــاقِ الحيـــــــاةِ حروبِهـــــــا
صـــــــوتُ الهجـــــــومِ كهجمـــــــةِ الآســـــــادِ

واسْـــــــبِق رياحـــــــاً عاتيـــــــاتٍ علَّنـــــــا
نقضـــــــى مهمَّتنـــــــا بكـــــــلّ سَـــــــدادِ

ثم أخذ يسترجع حوارًا دار بينه وبين مرعى ويحى حينما توجه يونس إلى السوق فى تونس ليبيع فرعاً من عقد شمّاء ويشترى بثمنه طعاماً لهم . كان الحديث كالصَّدَى فى الأفق .. استمع إليه أبو زيد: صوت أبى زيد :

ذِكـــــــرُ نجـــــــدٍ لنـــــــازحِ الأوطـــــــانِ
أذْرَفَ الـــــــدَّمْعَ هـــــــاطِلاً بمعـــــــانِ

قَـــــدْ تـــــذكّرْتُ أهْلَنـــــا العُـــــرْبَ فيهـــــا
ومُـــــرورَ الأيـــــامِ مَـــــرَّ الثَّـــــوانى

أيـــــن مِنّـــــى مَضـــــارِبُ القـــــوْمِ نـــــورٌ
أيـــــن بيتـــــى وروْضـــــتى كالجِنـــــانِ

وبنـــــاتى كالغيـــــدِ يخُطـــــرْن حـــــوْلى
نَسَـــــماتُ العبيـــــرِ كـــــالزَّعفرانِ

ولِـــــــــــــداتى إذا دعَـــــــــــــوْتُ سِـــــــــــــرَاعاً
وبنينـــــــــــى والكَـــــــــــلُّ طـــــــــــوْعُ بنـــــــــــانى

وهنا يظهر خيال مرعى وصوته يشاركه ذكرياته :

صوت مرعى : أيـــــن خضـــــراؤنا الشـــــريفة تُهْـــــدِى
دَعَـــــواتٍ لنـــــا بقلْـــــبٍ هـــــانِ

وبُـــــدَيْرُ بْـــــنُ فايـــــدٌ وصـــــلاةٌ
وتســـــــابيحٌ رُتِّلَـــــــتْ بـــــأذانِ

وجيـــــوشٌ تَهُـــــبُّ فـــــى كِبْريـــــاءٍ
بـــــيْن عـــــالِ البنـــــودِ والصَّـــــوْلجانِ

نجـــدُ يـــا نجْـــدُ يـــا مـــرابِضَ أُسْـــدٍ
لهـــــلالٍ تصـــــولُ أوْ ذُبْيـــــانِ

وجُـــــدُودٌ بتغْلِـــــبٍ أوْ بِبكْـــــرٍ
وابْـــــنُ مـــــاءِ السَّـــــماءِ أو غسَّـــــانِ

صوت أبى زيد : جـــاء يـــومٌ أجـــوعُ فيـــه وأُهْـــدِى
بقميصـــــى يُبـــــاعُ أوْ طَيْلســـــانى

يـــا غُـــرابَ البعـــادِ لا كـــان يومًـــا
لفـــــراقٍ مِـــــنْ أعْظَـــــمِ الحـــــدَثانِ

صوت يحى : هـــو بـــؤْسٌ وينْقضِـــى يـــا بـــلادى
وتعـــــودين زينـــــةَ البُلْـــــدانِ

بَـــلْ تعـــودين كالرِّيـــاضِ جنانـــاً
لِـــذَوينا . وعيْشُـــنا بِـــكِ هـــانى

أبو زيد وقد مسح دموعه فى كبرياء

كُنْتُ بين البدورِ مَرْعى ويونُس
ثم يحيى خميلة البستان
لو يحِلُّ الظّلامُ كانوا ونيسًا
وضياءً . والأُنْسَ لى . وأمانى

وَيْحَ قَلْبى !! فى السِّجْنِ أَمْسوا جياعًا
وبعيدًا عنْ نَسْمةِ الأوْطانِ

أذْرفى يا عينى بدَمْعٍ سخيٍّ
خفّفى من قسْوَة الأشجانِ

صدى صوتٍ يناجى أبا زيد ويؤنسه :

الصوت : أيُّها السَّارِى لِنجْدِ الْعرَبِ
جَمَعَتْ كُلَّ علىِّ النَّسَبِ

أبوزيد هلِ أرَى مِنْها تلالاً وَرُبَى
مَطْلَع الصُّبْحِ بنورِ الكوْكَبِ

هل أرى فيها رفاقًا نَشَأوا
نَشْأَةَ الطُّهْرِ رفيعَ الأدَبِ

هَلْ أرَى منها جُيوشًا دَمْدَمتْ
تطلبُ الثَّأْرَ بصوْتِ الغَضَبِ

نفس الصوت يناجى أبا زيد ويرد عليه :

لَنْ ترى إلاَّ أسُودًا زأرَتْ
سارعَتْ تبْغى فَناءَ الثَّعْلَبِ

لـــــن تـــــرى إلاَّ رجـــــالاً ســـــارعوا
واسْـــــــتردُّوا حقَّـــــــكَ المغتصَـــــــبِ

لا تعُـــــــدْ إلاَّ بجـــــــيشٍ كاسِـــــــرٍ
مـــــن هـــــلالٍ دونَـــــهُ كـــــلّ أبِـــــيّ

قَـــــدْ قضَـــــى اللهُ بعـــــدْلٍ فاصـــــلٍ
وانتْصـــــــارٍ برســـــــولٍ عَرَبـــــــيّ

أبوزيد رُبَّ مُهْـــــرٍ قَـــــدْ تـــــردَّى فاسْـــــتَوى
فـــــى ثبـــــاتٍ . صـــــائبَ المنْقَلَـــــبِ

الصوت أَسْـــــرِع السَّـــــيْرَ أبـــــا زيْـــــدٍ بِـــــلا
نَصَـــــبٍ هيَّـــــا نَجِـــــىَّ العَـــــرَبِ

أبو زيد يسترد آماله وعافيته وكان الليل أسدل بستاره على الصحراء ولمعت النجوم فى قبة السماء وارتفع القمر ينير البيداء فأخذ يتغنى :

أبوزيد : اللَّيـــــلُ قـــــد لَمَعَـــــتْ نجومُـــــهْ
والبـــــــدْرُ تحجُبُـــــــهُ غيومُـــــــهْ

والزَّهـــــــــــر رقَّ عبيـــــــــــرُهُ
والعِطْـــــــرُ أرَّجَـــــــهُ نســـــــيمُهْ

والطَّيْـــــرُ يســـــبحُ فـــــى الفضـــــا
بـــــالله مـــــا أحلـــــى نظيمـــــهْ

قَسَـــــــماً بـــــــرَبِّ محمَّـــــــدٍ
والبيـــــــتُ إذ تَعْلـــــــو رســـــــومُهْ

يـــا نجـــدُيا أحلـــى البِطـــا ∴ حِ لأنـــــت للقلـــــب نعيمُـــــهْ

اشـــــتقْتُ مِنْـــــكِ مرابِعـــــاً ∴ للحـــــــب راق بهـــــا حَميمُـــــــهْ

أبو زيد يسمع صوتا من بعيد فيتوجه إلى مصدره فإذا خيمة بها امرأة مع بنيها .

أبوزيد :

سلام الله يا أعرابُ

صوت امرأة : سلامُ الودِّ والطُّهْرِ

أبوزيد : سَمِعتُ أنين مُلْتاعٍ

المرأة : ولَيدى رُضَّ مِنْ صَخْرٍ

ولا أدْرى له بُرْءًا ∴ شفاك الله يا بصرِى

أبو زيد يتحسس الألم فى القدم , ويدرك ما حدث . لقد سقط من مكانٍ عالٍ فهنا إلْتواءٌ فـــى القدم يصاحبه ورم – يحتاج للعلاج – الأم عجوز : توفى زوجها وترك لها الأبنـــاء صـــغارا تعولهم هى والإبن الأكبر المصاب.

أبو زيد :

علاج الإبن مَيْسورٌ ∴ بعون الله يا أُمِّى

المرأة : حماكَ الله يا ولدى ∴ حكيم الدَّيرِ إذ تأتى ؟

أبو زيد :

تجاريـــــــب تُعلّمنـــــــى ∴ وأتْلـــــــو آىَ قـــــــرآنٍ

نَـــــدِيِّ حَسَـــــنَ الصَّـــــوْتِ

نســـــيجٌ واحُـــــدُ أُمِّـــــى ∴ مـــــن المـــــيلاد للمـــــوتِ
أَتَـــــى موســـــى بتـــــوْراةٍ ∴ أتـــــى عيســـــى بإنجيـــــلٍ
أتـــــى طـــــه بقـــــرآنٍ ∴ رســـــالاتٌ لنـــــا تـــــأتى

المرأة :

إلـــــهٌ واحـــــدٌ نعْبُـــــدْ ∴ وأنـــــوارٌ لنـــــا تـــــأتى

وأخرج أبو زيد دهاناً وبلسمًا وأخذ يتلو آيات قرآنٍ ويدعو الله ، ثم أعد قطعة من القمـــاش ولف بها قدم الابن بكل عناية . وابتدأ الألم يزول وجلس الولد يتحدث معه .

وقدمت الأم لأبى زيد لبنا يشربه . ومكث أبو زيد بجوارهم أيامًا يصطاد الفرائس مـــن الجبال ويأتى بها للأسرة لإعدادها وطهوها للطعام وينام هو فى خيمة بالقرب منهم إلى أن زال الألم والورم من القدم وخفت آلامها وعاد الابن عفيًّا ليعول هذه الأسرة.

***

ترك أبو زيد تلك الأسرة بعد أن اطمأن إليها وسار فى طريقه شرقًا فدخل فى صـــحراء قاحلة سار بها عدة أيام . ثم إذا به يلج صباحًا إلى أرض الجبل الأخضر فى ليبيـــا . فـــانبهر بالخضرة اليانعة والمياه الجارية والآبار بمائها والطيور المغردة الشـــادية علـــى أغصـــانها ، والفاكهة مختلفة الألوان تتدلى من هذا الأشجار وكأنما هى جنة الفردوس . فأخذ يصـــف هـــذا الجمال فى الجبل الأخضر :

جَبَـــلٌ أحـــاط بـــه وتحـــت لوائِـــهِ
أشـــجار فاكهـــة ونـــور أقـــاحِ

أشـــجارُهُ الفيحـــاءُ تعلـــو حُمِّلَـــتْ
ذهبًـــا يُضـــئُ . وأحمـــرَ التُّفـــاحِ

ونخيلُـــهُ العـــالى يميـــل مُباهيًـــا
ومناديًـــا . يـــا شـــاعر الأمـــداحِ

صِـفْ لـــى الزَّبرجَـــدَ والمـــذهّبَ يـــا فَتـــى
وصـــف الجمـــال مُتمَّمًـــا بالسَّـــاح

وكـــذا عناقيـــدَ الكـــروم مفصَّصًـــا
ســـبحان ربـــى فـــالق الإصـــباحِ

والسَّوْسَـــنُ المنثـــور يبـــدو لؤلـــؤًا
هـــذا بـــديع الخـــالِقِ المنَّـــاحِ

والـــوردُ يهـــدى عطـــرَهُ متفتّحًـــا
مَلِـــكُ الريـــاض بنشْـــرِهِ اللَّمـــاحِ

عِطْـــرُ الُخزامَـــى فـــى الجبـــال نسـيمُهُ
يَسْـــرى بطِيـــبِ عبيـــرِهِ بجنـــاحِ

والشـــمسُ مشـــرقةٌ وتُهـــدى دِفْأهـــا
لـــلأرضِ فـــى هـــذا النهـــارِ الضَّـــاحِى

ومُـــرَدِّداتِ الشَّـــجْوِ ناغـــتْ إلْفَهـــا
مُسْـــتمتِعًا يعلـــو ذُرَا الأدْواحِ

يتنـــاغمون بشـــجوهم فـــى جَوْقـــةٍ
ضَـــمَّتْ رخـــيم الصَّـــوتِ لـــلأرواحِ

فَلْتُصْـــغِيَنَّ إلـــى البلابـــل غـــرَّدتْ
عـــذبَ الغنـــاء شَـــدَتْ مـــع الإصْـــباحِ

وحمامـــةُ الأيـــك الكثيـــف ترنَّمـــتْ
مـــع عنـــدليبٍ مُـــبْهِجٍ .. صـــدَّاحِ

ســـبحان ربـــى مُهْـــديًا لخلائـــقٍ
تلـــك الجنـــان بغُـــدوةٍ ورواحِ

زالـــت همـــومى حـــين طُفْـــتُ بُقربْهـــا
إنَّ الحـــدائق بهجتـــى يـــا صـــاحِ

وشـــربتُ مـــن مـــاء مَعـــينٍ طعْمُـــهُ
يُهْـــدَى إلـــىَّ عطيَّـــة المنَّـــاحِ

وأخـــذتُ مـــن تلـــك الميـــاهِ وضـــاءتى
بعـــــد الوضـــــوء ســـــجدتُ للْفتَّـــــاحِ

أخذ أبو زيد يسرع فى اتجاهه للشرق لا يريد أن يضيع وقتًا فدخل بعد أيام ريف مصر وسمع زغاريد وأصوات الفرح تصدر من أحد الأماكن واتجه إليه .. إنه زواج . دخـل إلـى المكان الفسيح يُسلّى نفسه لعل الفرح يفرج همَّه ويفكَّ كرْبَهُ وحزنه .. قدم نفسه لهم علـى أنـه حاجٌّ يتجه إلى بيت الله الحرام قدَّموا له الطعام ودعوه ليشاركهم فى أفراحهم وزواجهم المبارك ابن شيخ البلد سيتزوج إحدى بنات العائلات التى تجاورهم قام أحد المغنين من ريف مصر يلقى بعض المواويل والكلُّ يُصغى :

يـــا ســـايق الظَّعْـــن بـــالمحبوب علـــى مَهْلَـــكْ[١]
ألاَّ فـــؤادى مـــن الأشـــواق علـــى مَهْلَـــكْ[٢]
قتلْتنِـــى نـــدْرٍحـــين تَمْشِـــى علـــى مَهْلَـــكْ[٣]
هُـــوَّ الجفـــا صَـــنْعتَكْ ؟ والاَّ عـــلامْ أهْلَـــكْ[٤]
إحنـــا سمعنـــا مَثَـــلْ مـــن اللَّـــى قبلنـــا قـــالوه[٥]
بحـــر المحبَّـــة عميـــق .. مَبْنِـــى علـــى مَهْلَـــكْ

تصفيق واستحسان .. وطلب الإعادة .. ورقص ..

---

(١) الظعن : الدابة يرتحل عليها على مهلك : تمهل فى السير
(٢) على مهلك : أوشك واقترب من الهلاك
(٣) قتلتنى نذرٍ : قتلتنى شيئا فشيئا . ببطء
(٤) والا علام أهلك : أم أن أهلك علموك هذا الجفا
(٥) مبنى على مهلك : مبنى على مكان يهلك الناس . على الهاوية.

المغنى: **إيـــه السَّـــبب فـــى غـــزال البَـــرّ وشـــرودُهْ**[1]
وطلْعتـــــه فـــــى نهـــار الحـــــر وشـــــرودُهْ[2]
سِـــرْ يـــا نســـيم عنـــد حبيبـــى وروح رودُهْ[3]
إنْ كلَّمـــــك كلَّمـــــه . مـــــا كلَّمَـــــكْ رودُهْ
إذا سمـــح بالوصـــال هـــات لى أمـــارَهْ فيـــه
هـــات لى أمـــايْر . حَمَـــار الخـــدّ ووروده[4]

تصفيق .. ورقص .. واستحسان وزغاريد

ثم تكونت مجموعتين من الفتيات والصبايا ترددان الأغانى والأهازيج :

المجموعة الأولى: **يـا اللّـى أنـت نـاوى النَّسَـب ناسـب نَسَـبْ عـالى**[5]
ونـــازل الســـوق يبـــدَّرْ يشـــترى غـــالى[6]
لـــو قـــال ميـــت يفـــتح الله . يكســـب الغـــالى
خُـــدْ الأصـــيل واحجـــزه وابنـــى عليـــه السُّـــورْ
وروّق الشّـــهد واسْـــقيه مـــن قُلَـــلْ بنُّـــورْ
أمَّـــا الخســـيس اتركُـــهْ .. يـــروح بوصْـــلُهْ . يُغـــورْ[7]
لـــو كـــان وصْـــلُهْ بـــلاش . لازم يكـــون غـــالى

تصفيق

وإعجاب ورقص ايقاعى على تصفيق الأكف .

---

(١) شروده : شاردًا مبتعدًا .
(٢) نهار الحرّ وشروده : فى الحر الشديد نهارًا .
(٣) رودُهْ : جِسّ نبضه وتبين منه مدى حبه لى .
(٤) أمايِر : أمارات
(٥) نَسَبْ عالى : مصاهرة الناس ذوى الأخلاق العالية والشرف الرفيع .
(٦) يبَّدرْ : ينزل السوق مبكرا ويختار . غالى : الثمين من الأشياء .
(٧) إن التقرب من الخسيس سوف يكلفك كثيراً مهما كان رخيصاً .

المجموعة الثانية من الفتيات ترد :

جَميـــل زَرَع زَنْجبيـــل فـــى وِسْـــط غـــيط شمَّـــامْ[١]
ريقـــه كمـــا بنـــزهير .. وقـــت الصَّـــفا لَّـــامْ[٢]
مَحْـــلاك يـــا حلـــو .. لمـــا تِنْضـــجِعْ وتنـــامْ[٣]
تَسْـــبِلْ بعينـــكْ مـــع ورد الخـــدود يحْمَـــرّ[٤]
تِسْـــبِى بنـــات العـــرب والتُّـــرْك والأعجـــامْ[٥]

صياح وزغاريد

المجموعة الأولى :

فايـت علـى بـابْ . شـفْت ألْبـابْ . تاهـتْ الألْبـابْ[٦]
واللَّـــى ورا البـــابْ . بياكُـــل تـــين مـــن العِلْبـــابْ[٧]
طـــالع العصـــر . يتبـــاهى بَمسْـــكِ الخَصْـــرْ
ويقـــول يـــا نصـــرْ . شـــوف مـــين اللَّـــى فـــاتْ ع البـــابْ
حَبّيَـــتْ ... ويامـــا يفْتِـــرِى الحبَّـــابْ[٨]
مـــا حبّيَـــتْ لّـــا فَنَـــى جِسْـــمِى وشـــعْرى شـــابْ
إحنـــا سمعنـــا مَثَـــل مـــن اللَّـــى قبْلنـــا قـــالوا
مَـــنْ مَسَّـــهُ الحُـــبّ . عَظْمُـــه الصُّـــلْبْ . رقّ وذابْ

---

(١) زنجبيل : له روائح زكية ، شمام : له نفس الرائحة .
(٢) الرِّيق : ريقه : طعمه : . والبنزهير : الليمون وله نفس الرائحة الطيبة .
(٣) لمَّامْ : يجمع الأخلاء والأصفياء بهذه الروائح الطيبة .
(٤) محلاك : ما أحلاك .
(٥) تسبى : تأسر : أى صرن سبايا وأسارى لجمالك .
(٦) فايت على باب : بينما كنت مارًّا أمام أحد الأبواب .
شفت ألباب : جمع لبَّهْ . واللّبه هى موضع القلادة من العنق . أى شاهدت عنق فتاة جميلة .
تاهت الألباب : تاهت العقول .
(٧) العلبابْ : العُلب . أى من تقف وراء الباب تأكل التين من العلب ولا تهتم بأمرى .
(٨) الحبَّاب : المحبّ .

المجموعة الثانية :

فايـــت عَلَـــىَّ حبيبـــى كاسِـــرْ المـــلاع الشـــالْ[١]
واللـــى نَظَـــرْ ورد خَـــدُّهْ . رَوَّحـــوهْ مِنْشـــالْ[٢]
أبـــيض جميـــل المحاســـن . والحـــلاوة فيـــه
إنْ شـــالْ بعـــين واحـــدة . تلاقـــى الحُسْـــن ودلالْ
وإن شـــال بِرُخْـــرَه . تقولـــوا وِزّ العراقـــى شـــالْ[٣]

فرحة .. رقص .. زغاريد .. تصفيق.

انبهر أبو زيد بنيل مصر العظيم إنه نيل الكوثر أحال مصر إلى جنة خضـــراء وقـــف أمامه مذهولا مبهورًا فلم ير مياها بمثل هذا الفيضان إنه أعظم هبة من الله إلى أرض مصر:

أبو زيد : يـــا مصـــرُ دام النيـــلُ فـــى واديـــكِ
يجـــرى بخيـــرٍ فـــى رُبَـــى شـــاطيكِ

الله أكبُـــــر يـــــا كِنانـــــةَ ربِّنـــــا
يهنيـــــكِ قـــــولُ رســـــولنا يهنيـــــكِ

الأصـــــلُ والحســـــبُ الرفيـــــعُ تراهمـــــا
يُنبيـــــك تـــــاريخ الأُلـــــى يُنبيـــــك

هـــــذا شـــــباب النيـــــل ظـــــلَّ مـــــدافعًا
عـــــن أرضِـــــهِ متواثبًـــــا يحميـــــكِ

---

(١) المِلا : الملايه ترتديها النساء عند خروجهن.
الشال : غطاء أيضا لرأس المرأة

(٢) مِنْشالْ : فَقَدَ توازنه فخرَّ مغشيًّا عليه . عندما نظر إلى جمالها .
فحمله المارّة وعادوا به إلى بيته . وذلك بسبب نظرته إلى ورد خدود تلك الجميلة .

(٣) وز العراقى شال : مشهور الوز العراقى بأجنحته الطويلة . وهو هنا يشبه ناعسة الأجفان إحدى أميرات السيرة الهلالية .
بطول رموش عينيها . رخره : الأخرى : رموش العينين لطولهما . وجمالهما مثل جناحى وز العراقى – أى جميلة العينين .

موســـــى الكلـــيمُ أتـــى إليـــك مُطهَّـــرًا
ونمـــا ترعـــرع فـــى قصـــورِ ذويـــكِ

عيســـى المســـيحُ وأمُّـــهُ أتيـــا هنـــا
وهفَـــوْا إليـــك إلـــى رُبَـــى واديـــكِ

وأتـــى ابـــن يعقـــوبٍ إليـــك مُحصَّـــنًا
بركـــاتُ أجـــدادٍ لـــه تهـــديك

أنجـــاهُ ربُّ الخلـــق مـــن جُـــبٍّ ومـــن
حَسَـــدٍ ومـــن ســـوءٍ إذا يأتيـــكِ

أضـــحى عزيـــزًا فـــى بـــلادٍ أعِـــزَّةٍ
ومجـــاورًا للخيـــر فـــى أهليـــكِ

ونبيُّنـــا طَـــهَ البشـــيرُ محمـــدٌ
أصـــهارُهُ قَـــبْطٌ وخيـــرُ مُلـــوكِ

أهـــدوْا إليـــه نجيبـــةً قِبطيَّـــةً
نشـــأتْ بـــوادٍ أخضـــرٍ وضـــحوكِ

حملـــوا إليـــه الشَّـــهْد فـــى أقْنانِـــهِ
مـــن أرض مصـــر شـــرابُه يشـــفيكِ

يـــا مصـــرُ طابـــتْ أرضُـــكِ الفيحـــاء لـــى
يهنيـــك نيـــلٌ كـــوثرٌ . يهنيـــكِ

عبر أبو زيد نهر النيل واتجه سريعا نحو الشرق. نحو بلاد نجد أرض هـلال الفتيـة وخلال شهرِ منذ أن ترك تونس بدت له هضاب نجد .. أرضه وأرض أجداده .

أبو زيد : أَهِضـــابَ نجـــد تحيتـــى وســـلامى
أهـــديكِ معطـــارَ الســـلام. ســـلامى

بـــالله يـــا ريـــح الأصـــائل بلّغـــى
شـــوْقى لكـــلّ فُتُـــوَّةٍ ضِـــرغام

ثـــم أبْلغـــى عنـــى الحـــديث وكـــرِّرى
نحـــو الجميـــع مطـــالبى وكلامـــى

قـــولى لهـــم أن الحبيـــب ســـلامةً
آتٍ ليـــوقظ كُـــلَّ قـــرْمٍ حـــامِ

قـــولى لهـــم أبنـــاء ســـرحان بقـــوْا
فـــى ســـجن تـــونس وَحْشَـــةً بظـــلامِ

ثـــم أبلغِـــيهم أننـــى متوثّـــبٌ
وأطيـــرُ شـــوقًا لا يطيـــبُ مقـــامى

عَلّـــى أعـــودُ إليهمـــو فـــى ســـرعةٍ
ولجمـــعِ جـــيْشِ تغالـــبٍ وكـــرامِ

وأُحـــيلُهم يقْظَـــى قيامًـــا رتَّبـــوا
جيشًـــا كثيفًـــا . مـــا هُمُـــو بنيـــامِ

ولتـــونسٍ عَـــوْدِى أدُقُّ بلطْمـــةٍ
أبوابَهـــا بـــالرُّمْحِ والصَّمصـــامِ

المشهد الثانى

يتقدم أبو زيد نحو مضارب بنى هلال بنجد .. كما لو كان طيفًا . لقد فعلت به هذه الرحلة الأفاعيل ، زاغت عيناه . وشحب لونه جوعًا وحُزنًا . وازداد سواد وجهه . وتشققت شفتاه .. سرى مجيئه بين القوم فى القبيلة كاشتعال النار فى الهشيم وجرى القوم كى يبلغوا السلطان حسن والملكة شمّاء وعالية وأبناء أبى زيد .. هرع الجميع إليه متلهفين.

السلطان :

أجلسوه يا رفاق يستريح

أحد الواقفين: أجلسوه أجلسوه سادتى

يبدو أبو زيد مبهوتا ولا يدرى ماذا يقول :

السلطان دعوه .. دعوه .. ألا يا رفاقى
دعوه .. دعوه .. أيا سادتى

ثم يلتفت إلى أبى زيد: وأين الرجال أبا زيدنا؟
تكلَّمْ أبا زيد لا تصْمُتِ

شمّاء : أبا زيد أين بَنىَّ ؟ تكلمْ
بَنِىَّ .. بنىَّ .. أيا شقوتى

إحدى بنات أبى زيد: أيا أبتاهُ !! تكلَّمْ .. أَبِنْ

خضراء الشريفة : رويدًا .. رويدًا .. على مُهْجتى

يدخل زيدان سريعا مهرولا ويرتمى تحت أقدام خاله باكيًا ثم يقبل يدى أبى زيد ويربت على كتفيه متقربًا

السلطان حسن وأمه شماء :

أبا زيد ماذا فعلتَ بهمْ
تكلَّمْ .. أبنْ .. ولا تَصْمُتِ

أبو زيد يخرج عن صمته ويتحدث وكأنه أحد رجال أهل الكهف :

فقـــــــدْتُمْ بنـــــــيكُمْ ∴ أرونـــــــى صـــــــياحًا
ومـــــــاتوا جميعًـــــــا ∴ أرونـــــــى بكـــــــاءً
وَوَلَّـــــــوْا جميعًـــــــا ∴ أرونـــــــى نُواحًـــــــا

الأم شماء :

ويْـــــــحٌ لنـــــــا ∴ ويْـــــــحٌ لنـــــــا

وتبكى الأم بدمع غزير تسأل أبا زيد :

أبـــا زيـــد أيـــن النجـــومُ الزُّهُـــرْ ؟
وأيـــن الشُّـــموسُ ؟ وأيـــن القمـــر ؟

وأيـــن عيـــونى ؟ وأيـــن قُلَيْبـــى
وأيـــن رفـــاقِيَ منـــذ الصِّـــغَرْ ؟

ثم وهى تضرب كفًّا بكفٍّ باستغراب :

وهـــل طاوعَتْـــكَ يـــداكَ لترْمـــى
بأكبادنـــا فـــى عميـــق الحُفَـــرْ ؟

أحد الواقفين :

عـــزاءً .. عـــزاءً .. أســـلطانَنا
نعـــيش ومِـــنْ مَوْتنـــا لا مَفَـــرّ

السلطان شاردًا :

أشـــمّاءُ إِيْـــكِ سِـــجالاً بـــدمْعٍ
ويـــا عـــينُ سِـــحّى الـــدُّموعَ الغُـــزُرْ

وهنا تجلس الملكة شماء على الأرض وقد أرسلت ضفائرها وأخذت تجمع الرمال بكلتا يديها وتهيلها على رأسها فى قمة الحزن والثّكل . بينما ينفجر الجميع كبيرًا وصغيرًا فى بكاءٍ شديدٍ .

يتوجه أبو زيد إلى مضاربه حزينا صامتا . ولكنه من داخله ازداد تصميما على العودة إلى تونس للانتقام من الزناتى خليفة واسترجاع الأبناء وكذلك بنات الأشراف.

مهدت له زوجته نومًا مريحًا .. وغطَّ فى نومٍ عمِقٍ وداعبته فى منامه أحلام العودة والانتقام والثَّأر .

كان أحد الأخوة لذكائه قد خط آخر الأحداث التى جرت لهم فى سجن الزناتى – كان قد خطها على قطعة خشب فى المقعد الخشبى على ظهر هجينه خطها حفرا – وتعمد أن يضعها على حصان أبى زيد ليعود بها – وبالصدفة قرأت الأم – بعد عدة أيام ما خطه وليدها وتحتها وقع باسمه (يونس) . وأخبرهم أنه وأخويه فى سجن تونس.

أطلقت الأم الزغاريد والتف حولها رجال العشيرة ونساؤها وقد ظن الجميع لأول وهلة أن بها مسًّا من الجن مما حدث لأبنائها الثلاثة .

أخذت تبكى وتضحك فى آنٍ واحد وتقول أن أبنائى أحياء الحمد لله .. وبُهت الجميع ودخلوا على أبى زيد تتقدمهم شماء تحمل المقعد الخشبى وعليه الكتابة.

أبو زيد وقد فهم كلَّ شئ :

أَشَمَّاء قولى ولا تعْتِبِى
فَهُمْ فلذاتى .. ولا تعجبِى!!

شماء وهى تستحث أبا زيد على أن يتكلم:

قرأتُ خطابًا ليونس ابنى
فلِلَّهِ دَرُّ النجيبِ الصَّبِى

تكلَّمْ أبا زيدُ أنت النجيبُ
دَرَجْنا على فِعْلِكَ الطَّيِّبِ

أبو زيد : نعـم يـــا أميـرة !

شماء تسأل : أأحيـــــــــاءُهُمْ ؟

أبو زيد مُؤكّدًا : يعيشـــــون فـــــى بلـــــد طيـــــب

نعـــــم يـــــا أميـــــرة أحيـــــاءُهُمْ
وعـــــــوْدَتُهم ذا مُنَـــــــى مَطْلبِـــــى

عَهَـــــدْتُمْ علـــــىَّ صـــــدوقًا ودودًا
الأم : فـــــأين الحقيقـــــة ؟ لا تكـــــذب

أبو زيد : بِسِـــــجْنِ الزّنـــــاتىِّ فـــــارقْتُهُمْ
لأجْمَـــــعَ جيشًـــــا وذا مـــــأُربى

ســـــأجمعُ مـــــن شـــــرقها غَيْهبًـــــا
جيوشًـــــا لتبـــــرق فـــــى الأرْحَـــــبِ

وقلـــــت بمـــــوتهم أســـــتحث
... كبـــــار الرجـــــال وأم الصـــــبى

لِـــــدَقّ طبـــــولٍ لِجمْـــــعِ رجـــــالٍ
بإشْـــــراقةِ الشـــــمسِ للمغْـــــرِبِ

ســـــلامةُ قـــــال بقـــــول صـــــدوقٍ
نـــــذرْتُ حيـــــاتى .. فـــــلا تعْتبـــــى

حيـــــاتى لِكَـــــىْ أســـــتعيَد بَنيـــــكِ
يعـــــودون لـــــلأمِّ فـــــى موْكـــــبِ

الأم بفرحة غامرة .. وكأنما ردت إليها روحها بحياة أبنائها الثلاثة :

ألا اجْمَـــعْ أبـــا زيـــدُ كـــمْ مِـــنْ رجـــالٍ
نَـــــدُبُّ خُطانـــــا إلـــــى المغـــــربِ

أبو زيد : أشـــــماءُ ســـــوف تـــــرِيْنَ بنيـــــكِ
ويـــا حـــرْبُ .. يـــا نـــارُ .. هَيَّـــا انْشُـــبِى

مـــن اليـــومِ لا نـــوْمَ . لا قـــوْلَ . لا
رُغـــاءَ . بـــل الثَّـــأْرُ هيـــا اطْلبـــى

أُســـودُ الصَّـــحارَى وفـــى قُـــوَّةٍ
ونَنْســـــاب للثَّـــــأْر كالثَّعْلـــــبِ

شماء : ألا يـــا نســـائىَ هيَّـــا اجمعـــوا
جـــــواهركن . بفِعْـــــلٍ أَبِـــــى

جميع النساء : وكـــــلُّ ثمـــــينٍ وغـــــالٍ فِـــــداءٌ
لأبنـــــاء ســـــلطاننا الطَّيِّـــــبِ

بأرواحنـــــا نفْتـــــدِى يونسًـــــا
ويحـــــى ومرعـــــى مُـــــرِى واطْلِبـــــى

شماء بين الضحك والبكاء :

أرى اليـــوم أبنـــائى فـــى اعتـــزازٍ
ويحمـــــيهُمُ الله فـــــى المغْـــــربِ

الجميع يرددون ثانية: بأرواحنـــــا نفْتـــــدِى يونسًـــــا
ومرعـــــى ويحـــــى فهيـــــا اطْلِبـــــى

حمـــــــاهُمْ إلـــــــه رءوفٌ رحـــــــيمٌ
كيوســـفُ فـــى الســـجن – إِبْـــنُ النَّبِـــى

وَرَبُّ الحطـــــيمِ . ورُكْـــــنٌ يمـــــانِى
وزمـــــزمُ فـــــى البلـــــد الطَّيِّـــــبِ

أخذ رجال بنى هلال وشبابها يتنادَوْن للحرب والجهاد والثَّأرِ بعد هذه الأحداث السعيدة المفرحة:
زيدان يخاطب أبا زيد :

ألا فاسْـــــــــجُدْ لـــــــــربِّ العالمينـــــــا
ســـــــتلْقى دائمـــــــاً نصـــــــرًا مُبينـــــا

ولا تجْـــــــزع لحادثـــــــة اللَّيـــــــالى
ســـــــنُنْقِذُ أهْلَنـــــــا مستبســـــــلينا

دياب : هُمـــوا غـــدروا بجبـــرٍ كـــمْ يقاســـى
ومرعـــى ثـــم يحـــى فـــى مآســـى
ويـــونس ابنُنـــا الغـــالى نواســـى
ولا نرضـــــى بجهـــــل الجاهلينـــــا

الطوى بن مالك : قبيلـــةُ تغْلِـــبٍ فـــى الحـــرب صـــالتْ
وجـــوْلاتٌ لهـــا بالنصـــر باتـــتْ
وكـــمْ مَلِـــكٍ شـــكيمتُه ولانـــتْ
وكنَّـــا دائمـــا حصْـــنًا حصـــينا

السلطان حسن : وفـــى حـــرْبٍ لنـــا مـــن بعـــد حَـــرْبِ
وضـــرْبٍ فـــى الأعـــادى أىّ ضَـــرْبِ
فكيـــف بثعْلـــبٍ يحظـــى بكســـب
وكيـــف بكلـــبهم داسَ العرينـــا

بدير بن فايد : أبـــا زيـــدٍ فـــلا تَعْجَـــلْ علينـــا
فـــإن الحـــرْبَ تقضـــى مـــا رأيْنـــا
ســـنجمعُ كـــل مخـــزونٍ لـــديْنا
ســـتعلمُ حَمْيـــرٌ خبـــرًا يقينـــا

زيدان : ســـندخُلُ أرضـــهم شـــرقًا وغربًـــا
وســـوف نُميـــتُهم خوفًـــا ورُعْبًـــا
ونأخُـــذُ حقَّنـــا علنًـــا وغصْـــبًا
أليســـوا عـــن هـــلالٍ غافلينـــا ؟

دياب : تـــرى مِنّـــا غـــدًا حُسْـــنَ الفَعـــالِ
تـــرى منـــا التَّفـــانِى . لا تُبـــالى
ســـيلقوْا جُنْـــدنا جُنْـــدًا عـــوالى
ســـنكْتُبُ نصـــرنا .. نصْـــرًا مُبينـــا

أحد الفرسان : ســـنعْدو بـــالخيولِ مُضَـــمَّراتٍ
بفرســـان عليهـــا مُســـرعاتٍ
ومُـــرْدٍ فـــوق جُـــرْدٍ ســـابحاتٍ
لنشـــرحَ حرْبَنـــا لهمـــو فُنونـــا

السلطان : لقـــد كـــان ابـــن كلثـــوم عظيمـــاً
وكـــان قِبـــاؤه بيتًـــا كريمـــاً
وقـــال بِشِـــعْرِهِ دُرًّا نظيمًـــا
[أبيْنـــا أنْ نقـــرَّ الـــذُّل فينـــا](*)

* الأبيات التى بين الأقواس من معلقة عمرو بن كلثوم التغلبى وهو أحد أجداد قبيلة بنى هلال .

الطوى بن مالك : هـــــلالٌ يـــــا ذواتَ المجـــــد هيّـــــا
قبيلـــــتكُم سَـــــمَتْ ذكـــــرًا علَيَّـــــا
ومـــا استعصـــى علـــى قـــوْمى عَصِـــيًّا
إذا الإقـــــدامُ كـــــان لنـــــا قرينـــــا

زيدان : فتوحـــــــاتٌ بطـــــولاتٌ توالـــــتْ
سَـــمَتْ بنضـــالنا للحـــق قامـــتْ
تـــــدانتْ للخلافـــــةِ فاســـــتدامت
وكـــان العـــدلُ خيَـــر الناصـــرينا

أحد الفرسان : ألا يـــا نجـــدُ يـــا مهَـــد الكـــرامِ
ســـلامٌ . إننـــى أُهـــدى ســـلامى
أحبـــك فـــى بعـــادى أو مُقـــامى
وعشِـــت بلادنـــا حِصْـــنا حصـــينا

السلطان : ســـلامُ الله يـــا مرعـــى ســـلامى
ســـلام الله يـــا يحـــى ســـلامى
ســـلام الله يـــا يـــونس ســـلامى
وصـــبْرًا حـــين نلقـــاكم يقينـــا

جبر القريشى : ســـلام الله يـــا ورْدَ البهـــاءِ
ســـلامُ الـــودِّ فـــى أنقـــى ضـــياءِ
إلـــى الله الْتجـــائى واحْتمـــائى
وقـــاكِ الله ربُّ العالمينـــا

أبو زيد : ألا يـــا زنـــاتى دعْ عنـــك الغـــرورَا
جلبْـــتَ لتـــونسٍ حرْبًـــا شـــرورًا

تملَّكْـــــت الأراضـــــى والبحـــــورَا
وفَجْـــرُ الحـــقّ أوْشَـــكَ أن يبينـــا

جبر : وقاســـمُ كـــان صِـــهْرًا لـــى ودودًا
وكـــان لنُصْـــرتى رجُـــلاً فريـــدًا
وقـــدَّم روحـــه أضـــحى شـــهيدًا
مـــع الأبـــرار والمُستشـــهدينا

شـــريفاتٌ صـــبايا أمْ ســـبايا
شَـــرِبْنَ الـــذُّلَّ أم كـــأْسَ المنايـــا
علـــى أيـــدى صـــعاليكٍ هفايـــا
صـــبايا العِـــزِّ أودِعْـــنَ السُّـــجونا

أحد الفرسان : ألا يـــا قـــائلاً عـــذبَ المعـــانى
ألا يـــا باعثًـــا فينـــا التَّفـــانى
ألا يـــا جـــيشُ أسْـــرِع لا تُـــوانى
[ونحـــن العـــازمون إذا عُصـــينا]

آخر : ألا يـــا قـــائلاً عـــذبًا كلامًـــا
ســـلامًا يـــا ابـــنَ كلثـــومٍ ســـلامًا
ســـلامًا قـــدْ عَـــلاَ وســـما مقامـــا
[ونحـــن الآخـــذون لمـــا رضـــينا]

ثالث : ألا يـــا قارئًـــا لمعلقـــاتِ
صـــنوفَ الشّـــعْرِ مـــن مـــاض وآتِ
ألا فـــاقْرأْ عظـــيم المبـــدعاتِ
[وأنَّـــا المهلكـــون إذا ابتُلينـــا]

فارس : أمَـــا قـــرأوا لنـــا فـــى الغـــرب شـــعْرًا
يُضـــــئ بليْلنـــــا كـــــالنور بـــــدْرًا
تســـــامَى قولـــــه عِـــــزًّا وفخْـــــرًا
[وأنّـــــا النـــــازلون بحيـــــث شـــــينا]

السلطان : مهلهـــــل جَـــــدُّنا وكـــــذا كُلَيْـــــبٌ
منيـــــعٌ مُلْكُـــــهُ أرضٌ وشـــــعبٌ
جليـــــلٌ أصـــــله شـــــرقٌ وغـــــربٌ
[ونـــبْطِش حـــين نـــبطِشُ قادرينـــا]

أحد شعراء القبيلة : ختامًـــا يـــا أبـــا زيـــدٍ ألا اســـمعْ
ختـــام الشّـــعْرِ يُمْتعُنـــا ويُمْتِـــعْ
معلقـــةُ القـــوافى ثـــم أتْبـــعْ
ســـواعدنا تجـــود ولـــن تلينـــا

[ملأْنـــا الْبّـــر حتـــى ضـــاق عنَّـــا]
[ونحـــن البحـــر نملـــؤهُ ســـفينا]
[إذا بلـــغ الرضـــيعُ لنـــا فِطامًـــا]
[تَخِـــرُّ لـــه الجبـــابِرُ ســـاجدينا]

المشهد الثالث

اجتمع الرجال يرتبون للحملة والتوجه إلى الغرب . إلى تونس وأقبلت كل نساء القبيلة يحملن حُليهُنَّ وجواهرهنَّ . كميات كثيرة من الذهب الخالص والأحجار الكريمة لإعداد الجيش ..

انبهر كبراء القوم من الرجال والقادة مما حدث من النساء

خضراء الشريفة : هـذِى قلائـدنا استلمها يـا أميـ
رى مهـديات مـن جميـع السَّـيداتِ

سيدة أخرى : أبنـاؤكم أبناؤنـا فلـذات أكْـ
بـادٍ لنـا كـانوا بنينًـا أم بنـاتِ

سيدة أخرى : لا تـدمعى شـمَّاءنا يـا أخْتنـا
يـا زيـن كـلّ الأمَّهـاتِ القانتـاتِ

القاضى بدير بن فايد: قُـمْ يـا حسـنْ هيّـا أميـر العُـرب قُـمْ
حىِّ السَّجايا البـيضَ فـى تلـك الصـفاتِ

هـذا مقـامٌ للرِّجـالِ تزينُـهُ
خيـرُ النسـاءِ مُـروءةً والفضـلياتِ

قـم يـا أميـرى واسـتجب متفضِّـلاً
واقْبـلْ هبـاةً للجيـوش الزاخـراتِ

أبو زيد لزوجته : يـا زوجتـى وحبيبتـى أثْلجْـتِ صَـدْ
رِى دائمًـا زيـن النسـاء المحْصـناتِ

دياب لزوجته : يـا زوجتـى أسـعدتنى ورفعـتِ رأْ
سـى عاليًـا دوْمًـا أزيْـن السـيداتِ

القاضى بدير : يـــا قـــوم تلـــك نســـاؤنا خيـــر العقيـــ
ـــــلات وزيـــن المحصـــنات الســـاجدات

شماء : اليـــوم أعـــرف أن أبنائى

الجميع : هُمـــــــــــوا

أبناؤنـــا فيمـــا مضـــى أو فـــى الغـــداةِ

تنصرف جميع النساء .

وأبو زيد لا يضيع وقتا، فقد عيّن أمير الأعنَّه، وأمير الأسلحة وأمير الأعـــلام والرايـــات، وأمير المؤونة والساقة، وأمير مؤخرة الجيوش. ويغلقون على أنفسهم الجلسة لإعداد كلّ شـــئ للنَّفْرةِ إلى الغرب، فلابد من لطمة على باب تونس .

وكان يجلس معهم الحكيم (ابن قديم الرأى) وهو الحكيم فى مثل هذا الوقت. ولـــم يضـــيعوا وقتهم فى سرعة التجهيز والإعداد .

ومضت شهور فى التجهيز للتحرك إلى أن وُضع كل شئ فى تمام موضِعِه. ولم يبق سوى سرعة التحرك وجلسوا لتسجيل هذه الأحداث للتأكد من هذا الترتيب:

ابن قديم الرأى: ماذا تريـــد يـــا أميـــر ؟ ∴ أموالنـــــا مـــــدبره
سل مـــا تشـــاء ســـيدى ∴

أبو زيد : تسعيـــن ألـــــفٍ أربعـــهْ

أريـــــــدها كتائبًـــــــا ∴ لتـــــونسٍ مُســـــيطرهْ

ابن قديم الرأى يرد بصوت عالٍ ويسجل فى الدفاتر أمامه :

تســـعون ألـــفَ راجـــلٍ ∴ وقائـــــدٌ كقسْـــــورهْ

أبو زيد: يلـــــــيهم مثـــــيلهم ∴ وقائـــــدٌ ذو تبصـــــرهْ

ابن قديم الرأى يرد بصوتٍ عالٍ ويسجل فى الدفاتر أمامه:

يلـــــــيهم مثـــــــيلهم ∴ وقائـــــــدٌ ذو تبصـــــــرهْ

أبو زيد :

تســـعون ألـــف فـــارسٍ ∴ نيـــــرانُهم مُســـــيطرهْ

ابن قديم الرأى يرد بصوتٍ عالٍ ويسجل :

تســـعون ألـــف فـــارسٍ ∴ نيـــــرانُهم مُســـــيطرهْ

أبو زيد :

رابعهـــــــم مثـــــــيلهم ∴ فصـــــــائلٌ معســـــكرهْ

ابن قديم الرأى يرد ويسجل :

رابعهـــــــم مثـــــــيلهم ∴ فصـــــــائلٌ معســـــكرهْ
لا تبتـــئس يـــا ســـيِّدى ∴ أموالنـــــــا مُكَثَّـــــــرهْ

أبو زيد :

جيـــــادُهم أصـــــيلةٌ ∴ خفيفـــــة مُضَـــــمَّرهْ
ســـــيوفهم مصـــــقولةٌ ∴ مَسْـــــلولةُ مُقْتَـــــدرهْ
رمـــــاحُهُمْ خطّيَّـــــةٌ ∴ عسَّـــــالةٌ مُـــــؤبَّرَهْ
دروعُهُـــــمْ حصـــــينَةٌ ∴ حلقاتُهـــــا مُـــــزَرَّرَهْ
هـــذا ســـلاحُ جيْشِـــنا ∴ بنـــى هـــلالِ المـــاهرهْ
أبْلـــغْ أميـــر الميمنـــهْ ∴ كـــذا أميَـــر الميســـرهْ
واحْصـــوا جمـــالاً للقبيـــ ∴ ـــلةِ كـــم ألـــوفٍ ســـائرهْ
كم ألـــف ألـــف عـــدهم ؟

ابن قديم الرأى : إثنـــــان فـــــوق العَشَـــــرهْ(*)

السلطان : هيّـــا أعـــدُّوا أمْـــركُمْ

ابن قديم الرأى : أوامـــــرٌ مُـــــوَقَّرهْ

أبو زيد : ســـــــــــــيوفُهُمْ ؟

ابن قديم الرأى : أُعِـــــــــــــــدَّتِ

أبو زيد : رمـــــــــــــاحُهُمْ ؟

ابن قديم الرأى : رُكّبَـــــــــــــــــتِ

أبو زيد : جنـــــــــــــودُهُمْ ؟

ابن قديم الرأى : دُرِّبَـــــــــــــــــتِ

أبو زيد : ســـــــــــــهامُهُمْ ؟

ابن قديم الرأى : قـــــــدْ سُـــــــنَّتِ

أبو زيد : تُروسَـــــــــــــهُمْ ؟

ابن قديم الرأى : قـــــــدْ شُـــــــدَّتِ

يقف السلطان حسن أمام شرفة قصره ممتطيا جواده ينظر إلى أمراء بنى هلال وهم يقفــون جميعهم أمام أمير الجيوش .

أبو زيد : اليـــــــــوم نُعِـــــــــدُّ ســـــــــواعدَنا

الجميع : لنعيـــــــــدَ شـــــــــبابَ هلالينـــــــــا

أبو زيد : اليـــــــــوم نُعيـــــــــدُ مآثرنـــــــــا

---

* كان مع الجيوش ١٢ مليون جمل لزوم الأحمال والذبائح وخلافه .

الجميع : بـــــــالجود تســـــــيلُ أيادينـــــــا

أبو زيد : اليـــــــوم لِنُكمِـــــــلَ مِنهاجًـــــــا

الجميع : قـــــد ســـــار عليـــــه أوالينـــــا

السلطان : لا تختلفـــــوا بـــــل فـــــاجْتمعوا

الجميع : للحـــــــقّ تســـــــيرُ معالينـــــا

السلطان : القـــــــوةُ رمـــــــزُ أوائلنـــــا

الجميع : سَـــــلْ حاضـــــرنا عـــــن ماضـــــينا

السلطان : والله يباركُنـــــــــا ســـــــــعْيًا

الجميع : للحـــــــق نـــــــدُبُّ خطاوينـــــا

السلطان : هيَّـــا .. هيَّـــا .. ســـيروا .. ســـيروا

الجميع : بركـــــــــات الله وتهـــــــــدينا

تتحرك مقدمه الجيش بين قرع الطبول وصهيل الخيل وزغاريد النســاء بفرحــة النصــر المرتقب.

ابن قديم الرأى فى مقدمة الجيش يحدو والمقدمة ترد عليه :

ابن قديم الرأى : يـــــا هلاَلَنـــــا

المقدمة : جـــــــدَّنا الأرِبْ

ابن قديم الرأى : يـــــا إلهنـــــا

المقدمة : خيـــرَ مـــن وهـــبْ

ابن قديم الرأى : امنحنَّـــــا الْـــــــ

المقدمة : نصـــــر والغَلَـــــبْ

ابن قديم الرأى : يـــــا لجيشـــــنا

المقدمة : منظـــــرٌ عَجَـــــبْ

ابن قديم الرأى : يـــــا مهلهـــــلٌ

المقدمة : خيْـــرَ مـــن غَلَـــبْ

ابن قديم الرأى : إنَّنـــــا هنـــــا

المقدمة : صـــــفوةُ العـــــربْ

ابن قديم الرأى : عمـــرٌو بـــن كُلْـــ

المقدمة : ثـــــومُ لا تَعَـــــبْ

ابن قديم الرأى : إن عزَّنـــــــــــا

المقدمة : قـــــارب الشـــــهبْ

ابن قديم الرأى : ثـــــارَ جيشُـــــنا

المقدمة : ثـــــأرُهُ وجـــــبْ

ابن قديم الرأى : غـــــارُ نصْـــــرِهِ

المقدمة : أيْنمـــــا ذَهَـــــبْ

النساء على الجمال فى الهوادج يصَفّقْنَ ويغنين على نفس القافية:

مجموعة أولى :

يـــــــا رجَالنـــــــا
مَـــوْجُكُمْ كمـــا الْـــــ
يـــــــا كبيرنـــــــا
إعْـــــــلُ دائمًـــــــا
دائـــــــمُ العطـــــــا
إنَّ جُنْـــــــــــدَنا
مِـــــــنْ لباننـــــــا

مجموعة ثانية :

∴ كُـــــــلَّ مُنْتَخَـــــــبْ
∴ بَحْـــــرِ ذى العَبَـــــبْ
∴ يـــــا أخـــــا النُّجُـــبْ
∴ وأبْلُـــــــــــغْ الأربْ
∴ يـــــا إذا وَهَـــــبْ
∴ مـــــا بِهِـــمْ سَـــغَبْ
∴ كُلُّهُـــــــمْ شَـــــرِبْ

شماء تشير بسبابتها إلى الغرب والنساء يجاوبنها :

شماء :

يـــــــونُسٌ بَـــــدَا
مرْعـــــــىٌ بَـــــدَا
يَحْـــــىَ مُهْجَتـــــيِ

النساء :

∴ وَجْهُـــــــهُ الشُّـــــهُبْ
∴ قَلْبُنـــــا انْجَـــــذبْ
∴ اصْـــــبِرْ ارْتقِـــــبْ

جبر القريشىّ على حصانه :

ورْدةُ البهـــــــــــا
فـــى بُعـــادِكِ الـــــ
إنَّنـــى علـــى الْـــــ
يـــا بنـــات الأشْـــــ
أَبْعَـــــثُ الســـــلا

∴ يـــــا ذاتَ الْقُشُـــــبْ
∴ جَمْـــــرُ واللَّهَـــــبْ
∴ عَهْـــــد أرْتَقِـــــبْ
∴ رافِ يـــــا عَـــــرَبْ
∴ مَ مـــــع السُّـــــحُبْ

فَـــكُّ أسْـــرِكُنَّ بَـــدَا وَجَـــبْ

طَيْـــــرَ نجْـــــدِنا ∴ طِـــرْ مَـــعَ الشُّـــهُبْ

خُـــذْ إلـــى أَحِبَّـــائىَ الكُتُـــبْ

إبْعَـــــثِ الغِنـــــاءْ ∴ إننـــــى طَـــــرِبْ

أبو زيد : يـــــا جيوشَـــــنا ∴ جَـــدٌّ لا ريَـــــبْ
فـــــى صـــــدورنا ∴ ثـــــأْرٌ إلْتهـــــبْ

المقدمة : أيُّهـــــا الزَّنـــــا ∴ تِـــىٌّ يـــا غَلِـــبْ
جيشُـــنا علـــى الْـــ ∴ حَـــــــــقّ والأدبْ
كُلُّنـــا إلـــى الْـــ ∴ حَـــرْبِ مُنْتـــدبْ

أبو زيد : مـــــا جـــــوابُكُمْ ؟ ∴

الجميع : غَـــــرْبُهُمْ غَـــــرُبْ

جبر القريشى: إنَّ حَمْيَـــــــــــــرٌ ∴

الجميع : يومُهـــــا اقتـــــربْ

جبر القريشى: عَـــــرشُ تـــــونِسٍ ∴

الجميع : أشـــــرافٌ عُـــــرُبْ

جبر القريشى: لا تســـــــــــــامُحٌ ∴

الجميع : صَـــــبْرُنا ذَهَـــــبْ

جبر القريشى: يـــــا رجالَنـــــا ∴ إننـــــى طَـــــرِبْ

الجميع : تـــــونُسٌ لنـــــا ∴ حُكْمهـــــا وَجَـــــبْ
عَوْدُنـــــا لهـــــا ∴ حـــــان واقْتَـــــربْ

الفصل الثانى

المشهد الأول

الجازية بنت الملك سرحان ملك بنى هلال . وشقيقة السلطان حسن سلطان بنى هلال وشقيقة الأمراء مرعى ويحى ويونس كانت متزوجة من أمير العراق الشريف (شكر بن هاشم) وكان زوجها يحبها حُبًّا جَمًّا لا حدود له. أنجبت له حامدة ومحمد. وتعيش معه فى رغدٍ من العيش لا يُكدِّر صفو حياتهما شئ .

وكان رجال بنى هلال وسادتهم يشاورونها فى أمورهم لرجاحة عقلها . إرتأوْا أن غياب أخوتها مرعى ويحى ويونس ووجودهم فى سجن تونس أمر مهم جدًّا وهل هناك أمر أهم من ذلك ؟

إذن فلابد من مشورتها فهى فى رأيهم لها ثلث المشورة وهذا حقها الطبيعى علاوة على حنكتها ورأيها الصائب كما أسلفنا ورأى قادة بنى هلال ضرورة التوجه أولا إلى العراق لإعلامهما بما جرى وبما هم مقدمون عليه فربما ترغب هى فى السفر معهم . ورأى بعضهم أن لها زوجًا وأبناءً صغارًا ولا داعى لأخذها ورأى آخرون ضرورة أخذها حتى لو رفض زوجها.

وصلت الجيوش إلى بلاد العراق وعلمت الجازية بالأمر ففضَّلت السير مع أهلها لتشارك فى إنقاذ أخوتها .

وتحركت الجيوش – جيوش بنى هلال والجازية معهم – جيش عبارة عن "أربع تساعين ألوف" من المحاربين الفرسان وإثنا عشر مليون جمل وناقة – بما عليها من أحمال .

ومعهم أسرهم من النساء والأطفال والخدم والعبيد . وعلى رأس الجميع السلطان حسن . سلطان بنى هلال . وأبو زيد الهلالى سلامة قائد تلك الجيوش. ومعه الأبطال المغاوير . دياب بن غانم قائد الزغابة، وزيدان بن زيان العرب، والطوى بن مالك والقاضى بدير. واصطحبوا معهم الخفاجى عامر – وكل أبطال بنى عامر وعظمائها.

ووصل بنو هلال بقَضِّهم وقضيضهم إلى مشارف تونس وعسكروا فى أرض عفيف بعيدًا عن سور المدينةً تمهيدًا للتقدم إلى المدينة لنجدة مرعى ويحى ويونس وكذلك إنقاذ بنات الأشراف من أسرة جبر القريشى.

فى أرض تونس فى مجلس الزناتى خليفة

الزناتى يحدث نفسه:

قـــــــدْ هجمنـــــــا مـــــــن ســـــــنينٍ
واقتحمنـــــــــــــا أرض تـــــــــــونس
وأخـــــــــــــذناها بعِنـــــــــــــوهْ
يـــــــــا لبـــــــــؤْسٍ ومَضَـــــــــرَّهْ

كـــــــمْ قتلنـــــــا مِـــــــنْ رجـــــــالٍ
كـــــــمْ سَـــــــجَنَّا مِـــــــنْ بـــــــرِيءٍ
دون أن نـــــــــــــدْرِىَ أمْـــــــــــــرَهْ
يـــــــا أبـــــــا سُـــــــعْدَةَ زجْـــــــرهْ

وبنـــــــاتُ العُـــــــرْب قسْـــــــرًا
قـــــــد ســـــــجنَّاهُنَّ عمْـــــــرًا
باكيـــــــــــــاتٍ نائحـــــــــــــاتٍ
يـــــــا لَخِـــــــزْيٍ ومَعَـــــــرَّهْ

ثـــــــم أبنـــــــاء المشـــــــارقْ
يـــــــونسٌ مرعـــــــى ويحـــــــى
لـــــــمْ نُقِـــــــمْ للثَّـــــــأْر وزْنًـــــــا
وســـــــــــــجنَّاهم بقْهـــــــــــــرَهْ

صدى صوت من بعيد هو صوت بنات الأشراف السجينات :

يـــــــا زنـــــــاتى .. يـــــــا زنـــــــاتى
تعْشِـــــــقُ الحـــــــرب سِـــــــجالًا
مُطْلقًـــــــا دوْمًـــــــا ســـــــلاحًا
مـــــــرَّةً .. مـــــــرّةَ .. مـــــــرَّهْ

إنَّ مَـــــنْ يوقِـــــدُ نـــــار الْـــــــ
حِقْـــــــدِ بـــــين القـــــوم مَـــــرَّهْ
ســـــــوف ترْتـــــــدُّ ســـــــهامهْ
ويصـــــــيب السَّـــــــهمُ نحْـــــــرَهْ

قـــــدْ زرعـــــتَ الشـــــوك يوْمًـــــا
ورويْـــــــــتَ بـــــــــدماءٍ
وقتـــــــــالٍ دون رحمـــــــــهْ
فاحْصُـــــــدنَّ اليـــــومَ مُـــــرَّهْ

وهكذا كانت حياة الزناتى غير مستقره ونومه ملئٌ بالكوابيس والأحلام المزعجة. لديه شعور خفى بداخله بأن أشراف تونس لن يسكتوا ولن يخضعوا بعد أن انتزعت منهم تونس.

إنه ليعلم أنه أتى إلى تونس هو وبنو حمير حُرَّاسًا – خفراء للأشـراف ، فوثبـوا علـيهم وانتزعوها منهم . فأصبح يرى فى نومه أحلامًا مزعجهْ وكوابيس مخيفة .

صحا من نومه ذات صباح وهو فى همٍّ وكرب وخوف ،ونادى على المقـربين منـه مـن الرجال يقص عليهم حُلْمًا مزعجًا رآه فى نومه فأتوْا إليه [بالرَّمَّال] يخط فى الرمل أمام وزراء الدولة ويحاول أن يجد تفسيرًا لما يسمع من حلم الزناتى المزعج .

قال الراوى يا سادة يا كرام [صوت الراوى بالربابة] :

قـــال الزنـــاتى : خليفـــة بـــن شَـــمْخ ابـــن حَمْـــير .. والعقـــل مِنُّـــه راحْ

رمَّـــال يـــا رمّـــال . أنـــا رأيـــت منامًـــا .. أقلـــق راحتـــى .. والخَلِـــى مِرْتِـــاحْ

رأيـت بحـر النيـل .. أتـى لأرضـنا .. عَـمّ الـبلاد يـا أمـير .. علـى الأراضـى وسـاحْ
والبحـــر يـــا ســـادتى .. فيـــه المراكـــب تجـــرى .. مـــع الأرْيـــاحْ
وفيـــه مراكـــب .. فـــى البحـــر راســـيهْ .. وفيـــه مراكـــب .. جرْيهـــا بصـــباحْ

وقفـت أتطلَّـعْ .. ع البحـر بـالنَّظر .. نظـرت بعيـونى .. شُـفْت أنـا تمسـاحْ
تمســاح علــى بــرّ تــونس .. وكــل مــن اقــترب منــه .. يخطفــه التمســاحْ

قرَّبت م التمساح .. لأن أصيده .. هجم علىَّ يا ناس والدم منى ساح

ماذا ترى يا أمير ؟ وعليك أمان الله .. الواحد الفتاحْ ؟
قال له العلاّم .. مُفسّر الأحلامْ .. منامك حقيقى ..
وظهر فى أرضنا .. على الحدود يا زناتى .. الحرب يا جِحْجاحْ

البحر اللَّى أنت شُفته .. عرب الهلاليهْ .. ناس كِتير مِلاحْ
أمَّا الفتَى التمساح .. دياب بن غانم .. أمير العرب بسلاحْ
ومعاه أبو زيد .. أمير الجيوش .. العبد إللَّى .. كان حِدانا وراح
عرب هلالية .. أربع تساعين ألوف .. خيولهم مضمَّرهْ .. وحاملين سلاحْ

أبا سعده يا زناتى .. مضتْ ليالى الصفا .. وبهجة الأرواحْ
وأتت ليالى الضَّنى .. والهم يا صاحبى .. مسا وصباحْ

فات المِسَا يا ناس .. نمسى على غنوة .. البلبل الصَّدَّاحْ
أين الزهور انْتشتْ .. فى أرض تونسنا .. فى سندسٍ فيّاحْ

هل يا ترى نِمْسِى .. فى الحرب يا زناتى .. وفى الصُّدور رِماحْ
هل يا ترى نِمْسِى .. بعد الهنا والسَّعدْ .. حاضنين سلاحْ
هل يا ترى تأتى .. نساؤنا تبكى .. وكآبة الأتْراحْ

يا قومنا هيّا .. هيا اغلقوا تونس .. أبوابها العشرةْ .. بالرّتْج والمفتاحْ
هيا اجمعوا جيشى .. نفديك تونسنا .. بالسيوف صفاحْ
لا دمع لا شكوى .. لا مدمع سحَّاحْ ..

❁❁❁❁❁❁

فى أرض عفيف عند مدخل تونس وقد امتلكها بنو هلال ونزلوا بها بقضهم وقضيضهم وانتشر عشرات الآلاف من فرسانهم فى هذه المنطقة الجبلية وفيها أحراش تقطنها الوحوش –

وهذه المنطقة تحت حكم أحد إخوة الزناتى وإسمه (جايل) – فتقدم جايل لحرب بنى هلال ودبر خطته بسرية وهجم على خيام هلال فجأة .

جايل :

هيَّا لحرب الأعــادى ∴ نَسْعى لهــم بخمــيسِ(*)
هيَّا شــبابَ المرَّيــةْ ∴ نَسْــعى لهــم بــوطيسِ

قائد الجيش : أتــوْا إلينــا ســراعًا ∴ لا ننتصــرْ بجلــوسِ
هيــا بنــا لســباقِ ∴ لحــرب يــومٍ عبــوسِ

جايل : هيا بنــا فــى ظــلامٍ ∴ وظُلْمــةٍ ونُحــوسِ

القائد : ظلام الليالى بأسرارها ∴ دعتْنا لإشعال نيرانهــا
وهيا جميعًا لسفك دماءٍ ∴ وهيا لحرب بطوفانهــا

فارس : ســنخطو إلــيهم بليْــل بهــيمٍ
هُمُــو بــدأونا بعــدْوانها

تعــدُّوا علينــا بــدون نــذيرٍ
وجايــلُ يبــدو كغضــبانِها

جايل : أعِــدِّوا الجيــوش لــدرْءِ عــدوٍّ
بــأمرِ الزنــاتى وســلطانِها

ســنغدوا إذا مــا ادْلَهَــمَّ ظــلامٌ
وجــال النعــاس بأعيانهــا

* الخميس : الجيش . ميمنة وميسرة ومقدمه ومؤخره وقلب .

نُغيـــــرُ وفـــــى هَـــــدْأةٍ مـــــن مســـــاءٍ
ودِفْءِ المنـــــــــــــام لغفْلانِهـــــــــــا

لِنسْـــــطوا ونأسِـــــرُ كَـــــمْ مـــــنْ رجـــــالٍ
ونَسْـــــــــبِى نســـــــــاءً بغلمانهـــــــــا

أحدهم : وهَـــــذِى خيـــــامٌ بهـــــا كـــــمْ نســـــاءٍ
فهيَّـــــــــا نُبيـــــــــدُ بأركانِهـــــــــا

جايل : أســـــيلوا دمـــــاءَ شـــــباب هـــــلالٍ
وقـــــــــتْلاً ونَسْـــــــــفًا لِولِـــــــــدانِها

تقـــــدَّم هنـــــاك إلـــــى مَـــــيْمنٍ
وأنـــــــت عليـــــك بِشـــــيْمالها

ويتقدم جايل بمئات الفرسان نحو الخيام وما بها من رجال ونساءٍ وأطفال . فقتل من قتل .. وسبا ثلاثين امرأة وفتاه

جرى الناس لإبلاغ أبى زيد :

ثلاثـــــون مـــــن فتيـــــات الحجـــــالِ
بكـــــــيْنَ بـــــــدمْعٍ كتهْتانهـــــــا

شـــــبابُ هـــــلالٍ وفتيانهـــــا
تنـــــادَوْا ســـــراعا بغضْـــــبانها

صَـــــحَوْا كالأســـــودِ علـــــى نائحـــــاتٍ
ســـــبايا الـــــبلاد وريحانهـــــا

وصـــــاح أبـــو زيـــد هـــذا ابتـــداءٌ
لحـــــــربٍ وهـــــــدْمٍ لبنيانِهـــــا

أبو زيد يصرخ :

شـــبابَ هـــلال الشَّـــبابَ الأغـــرّ
أغيثـــوا الظّبـــاء .. لكـــى نَنْتصِـــرْ

عشرات ومئات من الفرسان يركبون متواثبين متأهبين :

أبـــا زيـــد مـــذا جـــرى يـــا أميـــرى ؟

أبو زيد : أغيثـــوا أغيثـــوا الشـــبابُ الأغـــرّ

فارس : أتـــى مـــن زناتـــة مـــن يَجْتـــرِى
فهيـــا إليـــه .. إلـــى المشْـــتجَرْ

أبو زيد فـى أيجْـــرؤ ذئـــبٌ دخـــول عـــرينٍ
استنكار: ونحـــن الأســـود وجـــنُّ البشـــر ؟

هلمـــوا .. هلمـــوا .. ألا يـــا رفـــاقى

فقـد فـاض بـى الكيـل

فارس : لا تنتظِـــــــرْ

أبو زيد : حَلُمْـــتُ ليـــالٍ بخـــوْضِ حُـــروبٍ
لأثْـــأَرَ مـــنهم .. فيـــا للضَّـــجَرْ

إلـــى أن تغـــابَوْا وجـــاءوا إلينـــا

يريـــــــدون حرْبـــــاً

فارس : فيـــــــا للقـــــــدَرْ

أبو زيد : أريـــــــدُ بروقًـــــا وقـــــد دمْـــــدمتْ
فهيَّـــــا إلـــــيهم .. شـــــبابًا نضِـــــرْ

مئـــــاتٌ أتوْنـــــا وفـــــى ظُلْمـــــةٍ
فلِلثَّـــــأْر هيَّـــــا قُبَيْـــــلَ الفجـــــرْ

وكيـــــف نبيـــــتُ علـــــى ثَأْرِنـــــا
وتغلـــــى الصـــــدور كنـــــار سَـــــقَرْ

وجايـــــل هـــــذا أثـــــار اشْـــــتياقى
فللحـــــرب هيـــــا .. شـــــظايا الشَّـــــررَرْ

بـــــدأْت أيـــــا جايـــــلٌ بـــــالهجومِ
خطفْـــــتَ الصَّـــــبايا .. هتكْـــــتَ السُّـــــتُرْ

إليْـــــكَ نطيـــــرُ كبـــــرقٍ سِـــــراعًا
إليـــــك شـــــباب هـــــلال انْتَشَـــــرْ

أحدُهم : أبـــــا زيـــــد هـــــاهُمْ أراهـــــمْ بعيْنـــــى

آخر : وهـــــذا صُـــــراخ الصَّـــــبايا الـــــدُّرَرْ

عليـــــكَ الســـــلام أيـــــا جايـــــلٌ
وآنَ الرحيـــــلُ لنـــــارِ سَـــــقَرْ

جايل وقد سمع كلام أبى زيد ومن معه :

أَعَبْـــــــدٌ ويجـــــــرُأُ أنْ يتْبعَنّـــــــى
جليـــــبُ النّخاســـــةِ مُنْـــــذ الصِّـــــغَرْ

ألا تـــــدْرِ مـــــن جايـــــلٌ يـــــا فتـــــى ؟
أنـــــا ابـــــن الزنـــــاتى كثيـــــر النَّفَـــــرْ

ونَحْـــــنُ الأســـــود . أيـــــا عبْـــــدُ فـــــاعلَمْ
وجَـــــــرِّدْ حُســـــــامَكَ للمُشْـــــــتجَرْ

أبو زيد : جَـــــرُأْت علـــــىَّ . أخَـــــذْتَ نســـــائى
وَعِبْـــــتَ ســـــوادى . لَـــــهُ تحْتقـــــرْ

وإنـــــى أبـــــو زيـــــد أصْـــــلِى علـــــىٌّ
كفاكِهـــــةٍ فـــــى أعـــــالى الشَّـــــجَرْ

وفَرْعـــــى انْتمـــــى لكـــــرامِ القبيـــــل
ومَـــــنْ ذاق حَرْبـــــى وضـــــرْبى سَـــــكَرْ

أبـــــى هـــــو [رزقُ بـــــن نائـــــلْ] أميـــــرٌ
يقـــــودُ الحـــــروب بِكَـــــرٍّ .. وَفَـــــرّ

إلـــــى العُـــــرْب أصْـــــلِى انْتمـــــىَ وارتَقَـــــى
وطَـــــهَ نَبِيِّـــــى رســـــولُ البَشَـــــرْ

ضَـــــمَمْتُ افْتخـــــارًا بأطرافِـــــهِ
فَـــــدينُ الســـــلامِ . وأعلـــــى الأُسَـــــرْ

جايل : تـــأَدَّبْ أيـــا عَبْـــدُ .. هيَّـــا لحْـــربٍ
لأجْعَـــلَ قتْلَـــكَ إحـــدى الْعِبَـــرْ

أبو زيد : تقـــدَّمْ إلـــيَّ . أَبِـــنْ لـــى فنونًـــا
تعلَّمْتَهـــا . يـــا زنـــاتى الزُّمَـــرْ

ودَعْـــكَ مـــن القـــوْلِ هيَّـــا لضـــرْبٍ
وهيَّـــا لفـــنٍّ .. وكـــرٍّ .. وفـــرّ

جايل يرسل برمحه بكل قوة نحو أبى زيد :

إليْـــكَ المنايـــا .. إلـــيَّ التَّهـــانى
وأُهـــدى إليـــك بقصْـــف العُمُـــرْ

أبو زيد وقد احتضن بطن جواده فذهب الرمح سدى

جهـــولٌ جهـــولٌ .. بحـــرْبِ الرجـــالِ
صـــغيرٌ غبـــىٌّ .. ســـقيمُ النَّظَـــرْ

يرسل جايل بالرمح الثانى فيقفز أبو زيد من فوق حصانه ليمر الرمح بسلام

أبـــو زيـــد أجِئْـــتَ تحـــاربُنى بفنـــونٍ
ساخرًا: عليهـــا الزمـــانُ عَفَـــا وانْـــدَثَرْ ؟

أَلَـــيْسَ بتـــونس فـــنٌّ حـــديثٌ
لحـــرْبِ الرّجـــالِ . جَهـــولَ الفِكَـــرْ

فهيَّـــا أَرينـــى فنوَنـــكَ هيَّـــا
أنـــا فـــى انْتظـــارٍ . ومـــا أسْـــتترْ

جايل يرسل الثالثة :

وثالثـــــــةٌ فـــــــى الصُّـــــــدور لَهَـــــــا
أزيـــــــرٌ فهيَّـــــــا لنـــــــار سَـــــــقَرْ

أبو زيد يلتقط الرمح المسدد إليه بقوة بكلتا يديه ثم يثنيه بيديه ويصنع منه دائرة . ثم يقـذف بها إلى أعلى نحو جائل فتسقط عليه وقد دخل رأسه فيها . فيتضاحك القوم فى سخرية من جائل

أبو زيد وهو يتمايل على فرسه بثقة أمام الجميع :

أُنْظُـــــــرْ لرَمَحَـــــــاتِى ∴ أُنْظُـــــــرْ لضَـــــــرَباتى
أُنْظُـــــــرْ لهجمـــــــاتى ∴ وأُنْظُـــــــرْ لوثبـــــــاتى
وأُنْظُـــــــرْ لكرَّاتـــــــى ∴ وتلـــــــك فرَّاتـــــــى
إليـــــــكَ قفزاتـــــــى ∴ وأسْـــــــمعْ لصـــــــرخاتى

ويهجم عليه أبو زيد صارخا فيقتلعه من فوق سرج فرسه ويرفعه عاليا بكلتا يديه ، ويـرمح بفرسه بكل سرعة مبتعدًا عن الجميع ثم يعود بنفس سرعته مقتربا من الجيش ويقذف به بكـل قوة على الأرض فأزهق روحه .

صياح وصراخ فى جيش جايل . وزغاريد صبايا هلال ثم هجوم كاسح من جيش بنى هلال على جيش جائل فقُتل من قُتل وفرّ من فرّ – ويعود أبو زيد مع جيشه بالصبايا إلى خيام بنـى هلال سالمين قبيل شروق الشمس.

عرف الزناتى بمقتل جايل فى أرض عفيف وأدرك أن طبول الحرب ستقرع قريبـا . وأن بنى هلال قد وصلوا إلى بلاده خارج سور المدينة فأرسل إلى منصور حارس الباب الرئيسـى للمدينة بألا يفتح هذا الباب إطلاقا وقال له : لو فتحت هذا الباب لأى غريب سوف أشنقك على هذا الباب .

فقد كان الزناتى يعلم أن أرزاق عرب الهلالية وجيوشهم فى أيدى غيرهم بمعنـى أن يمنـع الزناتى عنهم أى شئ داخل تونس وجلس يدبر نفسه لإعداد الجيش والحرب والملاقاة .

وطلب الوهيدى معبد فأتى إليه ليشد من أزره ويرفع روحه .

واجتمع معهم قادة الجيش وجلسوا جميعا يتدبرون ويتدارسون ويتشاورون قبل أن يدق بنو هلال عليهم أبوب تونس .

الوهيدى :

أتتْنا هلالٌ بركبانها ∴ جيوشًا جيوشًا فما شأنها ؟

الزناتى :

أتاها القريْشِيُّ جبرٌ مليكٌ ∴ ليثْأر مِنّا بحيتانِها

صوت بعيد له صدى :

ألا تذكرون ؟ جيوشًا ظَلَمْتُمْ ∴ وللثّأْرِ جاءوا لسلطانِها
أَشَوْكًا زرعْتُمْ ؟ ومُرًّا أذَقْتُمْ ؟ ∴ فهيَّا إلى حَصْدِ أضْغانِها

الوهيدى :

ألا يا زناتى .. ألا اغْلق علينا ∴ بأسْوارها مع خُلجانها
أعِدُّوا سلاحًا..لخوْضِ حروبٍ ∴ لنحمى نساءً . وَوِلْدانها

الزناتى :

وجيئوا إلىّ بكُلّ قويٍّ ∴ وكُلّ جَسُورٍ وفِرْسانِها

الوهيدى :

وأموالُنا مثل رمل الصَّحارَى ∴ لإعداد جيْشٍ بأركانِها

الزناتى :

ولن اسْتكينَ لهم يا وهيدى ∴ سَأُوقِدُ حَرْبًا – بنيرانِها
إذا ما ادْلهمَّتْ أعاصيرُها ∴ زناتى شَبيهٌ بغَلْيونِها

المشهد الثانى

فى مجلس السلطان حسن فى معسكر بنى هلال خارج مدينة تونس يجلس السلطان مع أبى زيد أمير الجيوش والقاضى بدير بن فايد . وبعض الأمراء والمشايخ والفرسان . وذوى الرأى والمشورة .

يفكرون فى ماذا هم مقدمون عليه . وكيف يفتحون باب تونس والخطوات الناجزة والمساعدة لذلك .

أبو زيد :

إنى بها لعليمْ ∴ عظيمَها والكريمْ
أبوابَها ودروبًا ∴ خِلاَّنَها والخصومْ
ودُسْتُ فيها شِعابًا ∴ طريفَها والقديمْ
منذُ الرِّيادةِ قوْمى ∴ فهمى لها مستقيمْ

حسن :

يا قائدًا ملَكَ القلو ∴ بَ ويا أميرَ العُقَّلِ
اللَّيلُ طال على السَّجيـ ∴ ـنِ متى ظلامُهُ ينْجَلِى
أبواب تونس أَغْلَقو ∴ ها بالحديد المُقْفَلِ

بدير بن فايد :

ليْلُ السَّجين نهارُهُ ∴ مرارةٌ كالحنْظَلِ

حسن لأبى زيد :

خُذْ مِنْ هلالٍ جُنْدَهُمْ ∴ مَعْ كُلّ عقْلٍ أَحْيَلِ
أنت الحكيمُ أرِيبُنا ∴ منذ صباك الأوّلِ

أبو زيد ينظر إلى السلطان حسن نظرة ذات معنى ويقول :

الباب يُفتح يا حَسَنْ ∴ بالصَّبر والعقلِ الفطنْ
ما بالجيوش ولا السِّلا ∴ حِ ولا الحروب ولا المحَنْ

السلطان :

أفْصِـحْ أَبِـنْ يـا صـاحبى ∴ إنّـى بحيَـرة (ذى بـزنْ)
شـمَّاءُ تبكـى وِلْـدها ∴ فـى سـرِّها وكـذا العَلَـنْ

أبو زيد يصيب القوم بالذهول :

بالجـازِ يُفـتحُ بـابُهم ∴ بالجـازِ أختـك يـا حَسَـنْ

حسن باستغراب :

الجازية ؟

الجميع : الجازية ∴

أبو زيد للجميع مؤكّدًا بـالنور والوجـه الحَسَـنْ

منصـور حـارس تـونسٍ ∴ هـو بالجمـال قـد افتَـتَنْ

حسن وكان قد سمع عنه :

تخَّطى الثمانين مـن عُمْـرِهِ ∴ وبالرغم من ضَعْفِهِ والـوهنْ
أما زال يرنو إلى الأغنيـاتِ ∴ وبالفتيات الحِسـانِ يُجَـنّْ ؟

أبو زيد :

نسـاءُ هـلالٍ بِهِـنَّ جمـالٌ ∴ وصوتٌ شجىٌّ وعقلٌ حسـن
وجازية القوم عقـلٌ رجـيحٌ ∴ تُغنّى له . وبصـوتٍ أغَـنّْ

تغُنّى لـه بالغنـاءِ الشَّـجِيِّ ∴ كما عندليبٍ بعـالِ الغُصُـن
تـردُّ عليهـا بنـاتُ هـلالٍ ∴ بصوتٍ يُشـنّفُ منـه الأُذُن

تلك كانت خطة أبى زيد وحيلته تعتمد على جمال الجازية وسحرها يؤثر على منصور حيث تتقدم الجازية مع بنات هلال ويختفى أبو زيد قريبا منهن، فإذا فُتح الباب دخل منه أبو زيد ووصل إلى سجن مرعى ويحى ويونس ثم بعد ذلك إلى سجن بنات الأشراف.

وعلم أبو زيد بأن الزناتى أكدّ على منصور بعدم فتح الباب باب تونس – وكان سور المدينة يحميها من دخول أى غريب والبوابة الرئيسية للمدينة عبارة عن باب كبير من الحديد المُصفّح يحرسه البواب منصور منذ سنوات إلى أن بلغ من العمر عتيا. وكان أبو زيد يعرفه منذ زمن الريادة – رجل صعب التفاهم معه ولن يفتح الباب. ولكن منصور هذا صاحب قلب عاشق محب ولهان يعشق الجمال، وأمام الحسن والجمال يؤدى ما يطلب منه عن طيب خاطر. والجازية مليكة على الجمال والدلال.

فكر أبو زيد وفكر " إن ما يريده أبو زيد أن يُفتح الباب لبرهة يدخل فيها وهو يعرف دروب المدينة وأسواقها وشوارعها وجميع أماكنها والسجن الذى به بنات الأشراف فى حارة زواوى"

يعرف كل هذه الأماكن جيدًا منذ زمن الريادة . فأتى بالجازية ومعها كل جميلات بنى هلال ثمانين من الصبايا الجميلات ليكلمن منصور ويغنين له ويحتلن عليه حتى يفتح لهن البوابة.

وقال لهن أبو زيد : قلن له أنكن تردن دخول سوق المدينة للبيع والشراء.

❁❁❁❁❁❁

جاءت الجازية ومعها البنات والصبايا ووقف هو متخفيا قريبا منهن ينظر بدهاء .

البواب منصور رآهن من كُوَّة البوابة، فجُنَّ جنونه لهذا الجمال جمال الصبايا الفتان، وبالرغم من كبر سنه وقد تخطَّى الثمانين فقد لعب الجمال بعقله وسال لعابه وتمنى أن يقتربن منه ليملىَّ ناظريه من جمالهن ويحادثهن.

قالت له الجازية : افتح البوابة لندخل السوق

قال لها : أنتن من بنات نجد ؟ بنات العرب ؟

قالت : لا .. نحن بنات التجار .. نريد أن ندخل السوق للتجارة

قال لها : بشرط !!

قالت : ما شرطك؟

قال : أنتن ثمانين صبيّه .. أتزوج إحداكن . أقضى ما بقى لى من السنوات بعد الثمانين معها . فأنا ما زلت تحت التسعين

ردت عليه بابتسامة : وهذا أعز ما نتمناه .. اختر من تشاء منا

قال الراوى :

فصدقها وابتسم فى فرحه وأخذ يرحب بهن بهذا النظم

وهذا الكلام :

صوت الراوى على هيئة موال :

*** خَطَرْ قَمَرْ . فى حَبَرْ . يمْشى على النَّغماتْ**
*** لُه فَنّ ما ينفِتح . إلاَّ على سؤالات**
*** طَلَبْت منه الوصال . لَفَتْ وقال لى : هاتْ**
*** عَدّيت له خُمسميّة . قال كُلْ بِهُمْ أَمْهاتْ**
*** عَدّيت له سُبعميّة . قال ليه أنا شحَّاتْ ؟**
*** ألفين دينار . وأنا اللى أعدّهم بإيدى**
*** يكونوا عربون لنْظرهْ . أمَّا المهر بالأُلوفاتْ**

❁❁❁❁❁❁

منصور

يا مرْحبا .. يا مرحبَا .. يا مرحبَا
يا مرحبا بالأهل والأحبابْ

يا مرحبَا .. يا مرحبَا .. يا مرحبَا
مَنْ لَمْ يرحّبْ بالصّبايا .. عابْ

يا مرْحبا .. بالأسياد .. عند عبيدها
أنتم الملوك .. وإحْنا العبيدِ جِلابْ

بقى لى سنين وأيام بوّاب البلدْ
واقف وأنا خادم لهذا الباب

ما شُفت مثل الجازية .. وجمالها
قمرٌ تكامَلَ .. زال عنه سَحَابْ

لو شافها عابد يزيد العباده
يوحد الله .. العلى التواب

إن شافها .. عيّانْ .. يُشْفى من المرضْ
يُشْفى بإذن الله .. الواحد الوهابْ

الجازية : بكْ أنت مرحبا .. يا عم يا بوابْ
افتح لنا بابكْ .. وانْظر لجمالى .. نبقى سوا أحبابْ
ونعيش أنا وأنت .. يا هاجرى قفْلَكْ .. علينا أسباب؟

منصور : بنتِ سرحانِ .. غنّى بالألحانِ
بالفنّ تانى .. يا بنت الأمارَى

الجازية : يا بوَّاب افتحْ .. بابَكْ المصفَّحْ
مِنْ دَخَلُه يسْرَحْ .. ويبيع العطاره

افتح يا حبيبى .. يا مِسْكِى وطيبِى
إنت من نصيبى .. من دون الأمارَى

افتح يا منصورْ .. افتح باب السُّورْ
ندْخل ونزور .. نبيع العطاره

افـــــتحْ لا تبـــــالى .. وانظـــــر لجمـــــالى
نبيـــــع المخـــــالى .. وأحزمـــــة المهـــــارهْ

افـــــتح مـــــا تخافْشـــــى .. انظـــــرْ لنقْشـــــى
والحنّـــــه الْبَرقْشـــــى .. فـــــى أيـــــادى العـــــذارَى

افـــــتحْ مالـــــك خـــــايف .. إنـــــت عاقـــــل عـــــارف
انُظـــــر للوصـــــايف .. لريّـــــا وســـــارهْ

انْظُـــــرْ كـــــلّ أليفـــــهْ .. حلـــــوه وخفيفـــــهْ
بُنيَّـــــهْ لطيفـــــهْ .. حـــــين ترخـــــى الخمـــــارَا

منصور : **روحـــــوا يـــــا بنـــــاتى .. خـــــايف مـــــن زنـــــاتى**
مَـــــنْ ضَـــــرَبهْ مـــــاتِ .. ويـــــزور القبـــــورا

روحـــــى يـــــا ظريفـــــهْ .. خـــــايف مـــــن خليفـــــهْ
لـــــهْ حَرْبـــــهْ رهيفـــــهْ .. تنفـــــذ فـــــى الحجـــــارَه

روحـــــى يـــــا صـــــبيَّهْ .. مـــــا إلاَّ بَليَّـــــهْ
خـــــايف المنيّـــــهْ .. تعُـــــمّ الـــــدّيارا

قال الراوى : وهنا يغلب الحب على صاحبنا العجوز المتصابى، ويفيض به الحب والهيام .. فأنساه واجبه وما عليه من القيام ففتح الباب على مصراعيه .. عن طواعيه .. وقد قهره حـــب الجازيهْ وحسن صوتها .. والبنات يردّدْن عليها .. بإيقاع رتيـــب وصـــوت رخـــيم .. كـــأنهن حوريات .. هبطت عليه من السماوات .. من فراديس الجنات .

وهنا تشير الجازية خلسة لأبى زيد وتهمس لنفسها وكأنها تُسمع أبا زيد:

يـــا أبـــا ريَّـــا تقـــدَّمْ ∴ فـــتح البـــاب بكبْـــوهْ
فُـــتح البـــاب بحـــبِّ ∴ فـــتح البـــاب بغنْـــوهْ

أبو زيد بوثبة واحدة كان فى الداخل وبيده السيف والرُّمْح :

الأغـــانى والتهـــانى ∴ قُـــوّةٌ أيّـــةُ قـــوّهْ

منصور وقد بُهِتَ من المفاجأة :

مـــالزربونِ ليـــأتِى ∴ أيهـــا الأســـود زجْـــرَهْ

وبسرعة البرق كان أبو زيد قد أطاح رأسه عن جسده بالسيف ودفنه خارج السور بعـد أن دخلت بنات هلال وأغلق أبو زيد الباب .

أبو زيد : يستحق القتل

الجازية: يَكفى ∴ نيَّـــةٌ تكشِـــف فُجْـــرَهْ

أبو زيد : هل قتلناهُ لِزُهْدِه؟ ∴

الجازية فجْـــرُهُ ولَـــىَّ وطُهْـــرَهْ

إن للبـــاغى نهـــارًا ∴ أسودًا يقصـــف عمـــرَهْ
عُمْره تسعون عامًـــا ∴ ثـــم لا يعـــرف قـــدْرهْ

أبو زيد :

تصلحين .. تخدمينَهْ ∴

الجازية :

شـــوكة تنمـــو بقفْـــرَهْ

إن زوجى خيرَ زوْج ∴ ارْفـــع اللهـــمَّ قـــدْره
وأدِمْ يـــا ربُّ حُبِّـــى ∴ خيرَ زوجٍ . خير أسْرَه

يطلب أبو زيد من كل صبايا بنى هلال النزول إلى سوق تونس كأنهن تاجرات يبعن ويشترين وأخذ معه الجازية لكى ترى مرعى ويحى ويونس فى سجن تونس

عندما وصل إلى السجن وقف تحت النافذة الحديدية العالية لهذا السجن وأسند رمحه فاحتك سنان رمحه بحديد النافذة فصنع شرارًا كالبرق الخاطف .

قال الراوى :

كان مرعى يجلس فى تلك الحجرة فتعجب من شرارة البرق وتذكر أرض نجد حيث كان البرق يتبعه رعد ثم مطر فتكثر الخيرات وتنمو نباتات – وتذكر سبعا من السنوات العجاف التى مرت على نجد لم يروا فيها برقًا ولا مطرًا

قال يحى وهو يبكى حزنا :

آه .. واحر كبداه يا للقهر والكمْد
يا لقيس .. يا لعامر .. يا لهلال .. يا لنجدْ

البرق هيّجنى من الشّباك
هيّجتنا يا برق فى سجوننا
سبع سنين يا برق ما شُفناكْ

سبع سنين يا برق ما جيت عندنا
والله زمان .. يا برق ما شفناك

أوْصيك يا برق النور لو جيت عندنا
سلمّ على الأمراء إللّى هناكْ

سلَّم على حسن الهلالى أبو على
قُلْ له أخوك مرعى يبوس يداكْ

سـلَّم علـى قاضـى العـرب معـدن النَّسَـبْ
قُـلْ لـه زمـان مرعـى مـا صـلىَّ وراكْ

سَـلَّم علـى مُطْلِـى الرّكـابْ ديـاب بـن غـانم
قُـلْ لـه زمـان مرعـى مـا شـاف شـهباكْ

سـلَّمْ علـى زيـدان مُنْجـدْ خَيْلنـا
يـوم الحـراب يضـرب بحـد سـناكْ

يـا هـل تـرى .. يـا بـرق النـور خـالى سـلامه
مـات وانْقَضَـى أمْ وَصَـلْ لِهنـاكْ

يـا خـال نسـيتنا ليـه وإحْنـا غرايـبْ
بـالله يـا خـال .. مـا بننْسـاكْ

إنْ كنـت خـايف م الزنـاتى خليفـهْ
خيـل الزنـاتى يـا خـال .. تهـاب تلقـاكْ

إن كنـت خـايف مـن سـباق بـن حـالق
سـنة الرّيـادة فـى الميـدان خـاف يلقـاكْ

إن كـان غـرام عاليـهْ أنسـاك ذكرنـا
معـذوريـا خـال .. والله الغـرام لهـاكْ

لـوْكنـت جَنَّـهْ يـا خـال والنـاس تروحَـكْ
لأروح جهـنم كرامـةً لأسـاكْ

إذا كنـــت شـــجرة تجمـــع الـــريح والهـــوا
وأنـــا حـــرَّان .. يـــا خـــالى لم أظـــل حـــداكْ

لـــو كنـــت بحـــر النيـــل .. وبـــتروى الفضـــا
وزرعـــى شـــراقى .. مـــا يشـــرب يـــا خـــال مـــن مـــاكْ

لـــو كُنْـــتَ مكْحلـــهْ وفيـــك كحـــل الجِـــلاَ
وأنـــا عينـــى رامـــدهْ – لم تحّـــط دواكْ

نـــادى ســـلامه .. خـــارج الســـجن مـــا مهـــل
غنّـــى أيـــا مرعـــى .. عجبْنـــى غُنـــاكْ

أخذ أبو زيد يتحدث مع الإخوة الثلاث ليعرفهم بمجئ جيوش بنى هلال والجازية تستمع :

أبو زيد : ذَرَفَ الـــدَّمعَ بعيْنـــى وبكَـــى
إنّ فـــى بُعْـــدِ الأحبَّـــةِ مَهْلَكـــاَ

آه يـــا مرعـــى ويـــا يحـــى .. ويـــا
يـــونسٌ إنَّ لربـــىِّ المشْـــتكىَ

عـــزَّ عنـــدى فِعْـــلُ دَهْـــرٍ جـــائرٍ
قـــدْ قضَـــى بـــالبيْنِ حتـــى أهْلكـــا

مرعى : صـــوتُ خـــالى جـــاءنى لـــوَّعنى
ولقلْبـــى شـــقَّهُ فانْتهكـــا

أبو زيد : وغنـــاءٌ منـــك يـــا مرْعِـــى بَـــدَا
عنـــدليبًا أوْقعـــوه الشَّـــركَا

كـــــلُّ حَـــــرْفٍ قلتَـــــهُ مـــــن لاعـــــجٍ
حـــــــرَّكَ النـــــــار بقلْبـــــــى وذَكـــــــا

مرعى : لوْعـــــــة السّـــــــجْنِ وأسْـــــــرِى شـــــــجَّنى
إننـــــــى ابـــــــنُ مليـــــــكٍ مَلَكـــــــاَ

يونس وهو لا يصدق ما يسمع:

أخـــالى ســـمعتُ ؟ بحـــقّ لإلـــهُ .. وحقَّـــا أتـــى
وللسِّـــجْنِ جـــاءَ .. لينقـــذَنا .. بعـــد مـــا شـــتّتا ؟

يحى : نعـــــم يـــــا أُخَـــــىَّ !! سيضـــــحكُ دَهْـــــرٌ
ويجمـــــــعُ قوْمًـــــــا .. لهـــــــم شَـــــــتّتا

يونس باكيًا : قـــــــد جئتنـــــــا .. يـــــــا خالنـــــــا
مـــــــن بعـــــــد طـــــــولٍ للغيـــــــابْ

ليْـــــلُ الســـــجين كمـــــا النهـــــار
... ومـــــــاؤهُ غـــــــصٌّ الشَّـــــــرابْ

مرعى : وطعامُـــهُ مُـــرٌّ ونـــو ∴ مٌ واضطرابٌ فى اضطراب

أبو زيد : مرعـــــى ويحـــــى .. ثـــــم يـــــونسُ
... إخـــــــوةٌ نعـــــــم الشـــــــبابْ

يحى : واللهُ كـــــــــــان نصـــــــــــيرُنا
وحنانُـــــــهُ عجَـــــــبٌ عُجـــــــابْ

يونس : إنَّـــــــا قضـــــــيْنا ســـــــجْننا
أيامُـــــــهُ كانـــــــتْ عِـــــــذابْ

الله كـــــــان نصـــــــيرُنا
وحنانُـــــــهُ عجـــــــبٌ عُجـــــــابْ

كانـــــــتْ عزيـــــــزةُ كـــــــالملاكِ
... ونورهـــــــا شـــــــقَّ الســـــــحاب

حوريَّـــــــةٌ تـــــــأتى إليْنـــــــا
.. فـــــــى الســـــــجون لهـــــــا ثـــــــوابْ

ودعـــــــوْتُ ربـــــــىِّ قانتًـــــــا
مُتبَـــــــتّلاً .. ربـــــــى اسْـــــــتجابْ

مرعى : تـــــــأتى سُـــــــعَيْدَى بالطعـــــــام
... بكـــــــلّ وقْـــــــتٍ والشـــــــرابْ

وكحـــــــور عـــــــينٍ تأتيـــــــان
... لنـــــــا بمـــــــا لـــــــذَّ وطـــــــابْ

وإلـــــــى الســـــــماء نقلْننـــــــا
مـــــــا كـــــــان ســـــــجْنًا أوْ تُـــــــرابْ

بـــــــل للـــــــذُّرَا . أو للنَّعـــــــيمِ
... وأنْهـــــــرِ المـــــــاءِ العِـــــــذابْ

وحـــــــــــــــديثهن عنـــــــــــــــادلٌ
وقـــــــــــــــدومهن لمســـــــــــــــتطابْ

يونس :

قـــد كـــان ســـجْنًا مُظلِمًـــا ∴ يُنْبِـــى عـــن البـــؤْسِ الخـــرابْ
فأحلْنَـــــــهُ فِـــــــرْدوسَ جنَّـــــــاتٍ وأُنْســـــــاً لا اغْتـــــــرابْ
حُبِّـــــى عزيـــــزة خالـــــدٌ ∴ حُـــبُّ الأمـــانى . لا ارْتيـــابْ
نـــادَى علـــى قلبـــى الوحيـــ ∴ دِ مُلبِّيًـــا قلبـــى اسْـــتجابْ

مرعى :

سُـــعْدَى فتـــاتى إنْ تَصِـــفْ ∴ فـــإلى المعـــالى لهـــا انْتســـابْ

يونس :

وعزيـــزةٌ بنـــتُ الوهيـــ ∴ دِى للجمـــالِ لهـــا انْتســـابْ
وعزيـــزةٌ بنـــتُ الوهيـــ ∴ دى للفخـــار لهـــا انْتســـابْ

الثلاثة معا :

ووُقيـــتِ سُـــعْدَى كـــلَّ مكـــ ∴ رُوهٍ ويـــا حُسْـــنَ المـــآبْ
وعزيـــزةٌ ربـــىِّ هَـــدَا ∴ هـــا سُـــؤْدَدًا حُسْـــنَ الصَّـــوابْ

أبو زيد :

وإلهُنـــا الـــرحمنُ ينْـــ ∴ صُـــرُ كُـــلَّ مـــن نـــادى أجـــابْ
وإلهُنـــا قيُّومُنـــا ∴ ناديْتُـــهُ .. لبَّـــى اسْـــتجابْ

قال أبو زيد للجازية : هل سمعت ؟ ..

هل سمعت أصوات إخوتك

قالت : نعم

قال لها : هيا بنا .. وأوصلها إلى بنات بنى هلال .

وقال لها : هذا يكفى فى الوقت الحالى . إذهبى مع البنات إلى السلطان وطمئنيه عليهم . أما أنا فسأتحرك نحو حارة زواوى حيث بنات الأشراف والله معى .

المشهد الثالث " مرعى وسُعْدَى "

كانت سُعْدَى ابنة الزناتى خليفة كما ذكرنا تتردّد على السجن هى وعزيزة ابنة الوهيدى معبد. سُعْدَى لكى ترى مرعى وقد شغفت به حبًّا . بريئًا . عذريًّا . وعزيزة لكى ترى يونس وذلك من خلال سرداب سِرِّىٍّ من القصر يؤدى إلى السجن وصار بين مرعى وسعدى هذا الحب العذرى العفيف بالرغم من أن مرعى كان مُكبًّا على قراءة القرآن والتزود بالعلوم والقراءة داخل السجن . وكان هانئا سعيدًا بهذا الحب العفيف الشريف . فهو يراها فى نهاره. ويراها ليلا فى أحلامه .

صوت الراوى :

سَجَنوا حبيبى وعملونى عليه سَجَّانْ
فى شَرْع مين حبيبى أبْقَى عليه سجانْ
شَيَّعْت له السمن بلدى مَعَ باش سَجَّانْ
شَيَّعْ وقال يا جَدَع أنا بقيت مَحْكومْ
الله يتَمّمْ عليك الصَّبْر .. يا غلْبانْ

مرعى وسُعدى يتناجيان بكلام هو الشَّهْد المُصَفَّى بين نظرات الحب والتَّنهُّدات :

مرعى :

نحن فى الشَّرْق نُحِبُّ ∴ حُبُّنا حُبٌّ عفيفْ
وعقيلاتٌ أحَبَّتْ ∴ بيْتهُا أصْلٌ شريفْ
وَصْلُنا عيْن توارَتْ ∴ عِشْقُنا روحٌ وهامَتْ
ألْسُنٌ بالشّعْرِ فاضَتْ ∴ أعْيُنٌ قَرَّتْ وطابَتْ

سُعْدَى :

بَلْ أعِدْ شِعْرًا لِعَبْلَهْ ∴ قُلْتَهُ لى حين نَسْهرْ
وأَعِدْ ذكْرَ القوافِى ∴ قالها المقدامُ عَنْتَرْ
أسْمِعَنّى يا حبيبى ∴ قوْلَهُ شِعْرًا مُطَهَّرْ

مرعى :

فـــــارسٌ قـــــال القـــــوافى ∴ جنَّـــــةٌ . عَـــــذْبٌ . وكـــــوْثَرْ
حُبُّـــــــهُ عبلـــــــةَ بـــــــاقٍ ∴ هُـــــوَ دُرٌّ . هُـــــوَ جَـــــوْهَرْ

سُعْدَى :

حُبُّنـــــا العُـــــذْرِىُّ شَـــــهْدٌ ∴ شَـــــهْدُهُ حُلْـــــوٌ مُكـــــرَّرْ
إنَّنـــــى عَبْلَـــــةُ مرعـــــى ∴ أنـــــتَ لـــــى الفـــــارسُ عنْتـــــرْ
أسْـــــمِعَنّى يـــــا حبيبـــــى ∴ أسْـــــمِعَنّى شِـــــعْرَ عنْتـــــرْ

يلقى مرعى أبياتا من الشعر يحفظها لعنترة العبسى ، بينما سُعْدَى مغمضة العينين تتمايل يمينا ويسارًا مع إيقاع القوافى والكلمات ، وتهمسُ مع إيقاع الترنيمات فقد حفظتهْا من مرعى فبادلته شعر عنترة وأبياته :

مرعى يترنّم بأبيات عنترة وسعدى فى قمة الاستمتاع :

أتـــــانِى طَيْـــــفُ عبلـــــةَ فـــــى المنـــــامِ
فقبَّلَنـــــــى ثلاثًـــــــا فـــــــى اللّثـــــــام

ووَدَّ عَنِـــــــى فـــــــأوْدعَنِى لَهيبًـــــــا
أُســـــــتّرُهُ ويُشْـــــــعِلُ فـــــــى عِظـــــــامِى

ولـــــــوْلا أَنّنِـــــــى أخلـــــــو بنفْســـــــى
وأُطْفـــــــى بالـــــــدُّموعِ جَـــــــوَى غرامِـــــــى

لَمُـــــتُّ أَسًـــــى وكـــــمْ أشْـــــكُو لأنّـــــى
أغـــــارُ عليْـــــكِ يـــــا بَـــــدْرَ التَّمـــــامِ

سُعْدَى تكمل أبيات عنترة لأنها تحفظها :

أيـــــا ابْنَـــــةَ مالِـــــكٍ كيـــــف التَّسَـــــلِّى
وعَهْـــــد هـــــواكِ مِـــــنْ عَهْـــــدِ الفُطـــــامِ

وكيـــــف أرومُ مِنْـــــكِ القُـــــرْبَ يوْمًـــــا
وحـــــــوْل خِبـــــاكِ آســـــادُ الأجـــــامِ

مرعى يكمل أبيات عنترة :

وَحَـــــقّ هـــــواكِ لاداويْـــــتِ قَلْبِـــــى
بغَيْـــــرِ الصَّـــــبْرِ يـــــا بِنْـــــتَ الكِـــــرامِ

إِلـــــــى أنْ أرْتقِـــــــى دَرَجَ المعـــــــالى
بِطعْـــــنِ الـــــرُّمْحِ أوْ ضَـــــرْب الحُسَـــــامِ

أنـــــا الْعَبـــــدُ الّـــــذى خُبِّـــــرْتِ عَنْـــــهُ
رَعِيـــــتُ جِمـــــالَ قـــــوْمى مُـــــذْ فِطـــــامِى

أروحُ مـــــن الصَّـــــباحِ إلـــــى مَغيـــــبٍ
وأرقُـــــدُ بـــــيْنَ أطْنـــــاب الخيـــــامِ

أُذَلُّ لعَبْلَـــــةٍ مِـــــنْ فَـــــرْطِ وَجْـــــدِى
وأجْعلهـــــا مـــــن الـــــدُّنيا اهْتمـــــامى

وأَمْتَثِـــــل الأوامِـــــرَ مـــــن أَبيهـــــا
وقـــــد مَلَـــــكَ الهـــــوَى مِنّـــــى زِمـــــامى

رضـــــيت بِحُبِّهـــــا طوْعًـــــا وكُرْهًـــــا
فَهَـــــلْ أحظـــــى بهـــــا بعـــــد الحِمـــــام ؟

سُعْدى :

ومِـــنْ عَجَـــبٍ أصـــيدُ الأُسْـــدَ قهْـــرًا
وأفْتـــــرِسُ الضَّـــــوارِى كـــــالْهوامِ

مرعى :

وتقْنِصُـــنِى ظِبـــا السُّـــعْدى وتسْـــطو(*)
علـــىَّ مَهـــا الشّـــرِبَّةِ والخُـــزامِ

لعمـــرو أبيـــك لا أسْـــلو هواهَـــا
ولـــوْ طَحَنَـــتَ محبَّتُهـــا عِظـــامى

عليْـــكِ أيـــا عُبيْلـــةَ كُـــلَّ يـــومٍ
ســـلامٌ فـــى ســـلامٍ فـــى ســـلامِ

يضحك مرعى وهو يكرر البيت الأخير كالآتى :

عليْـــكِ أيـــا سُـــعَيْدَى كُـــلَّ يـــومٍ
ســـلامٌ فـــى ســـلامٍ فـــى ســـلامِ

سعدى وقد أشرقت عيناها بالدموع فأخذت تردِّد وهى تذرُف الدمع من شِدَّة التَّأثُّر :

إليْـــكَ أيـــا حبيبـــى كُـــلَّ حِـــينٍ
غرامـــــى وامتثـــــالى واحْترامـــــى

إليـــكَ أيـــا طبيـــب القلـــب أُهْـــدِى
إليْـــكَ الحـــبَ مـــن دونِ الأنـــامِ

* ظبا : ظباء وهو جمع ظبى وظبيه – نوع من الغزلان يقال له الغزال الأعفر .

إلَيْـــكَ أيـــا مُنَـــى روحـــى وقَلْبـــى
أيَـــا مرعـــى أيـــا أحْلَـــى الأســـامِ

مرعى :

إلَيْـــكِ يـــا سُـــعَيْدَى الطُّهْـــرِ أُهْـــدِى
بِحُبِّـــى فـــى وقـــارٍ .. واحْتشـــامِ

سُعدى :

وإنّـــــى لا أرى إلاَّكَ حِـــــلاًّ
وزوْجًـــا لـــى .. أيـــا عـــالِ المقـــامِ

لِنُبْعِـــدَ عـــن هوانـــا كُـــلَّ ســـوءٍ
ويمتـــازُ الحـــلالُ عـــن الحـــرامِ

رَبيـــبَ المُلْـــكِ يـــا مرعـــى حبيبـــى
حبيـــــبٌ أَوَّلٌ . مِسْـــــكُ الختـــــامِ

مرعى :

ويـــا سُـــعْدَى أيـــا روحـــى وعقلـــى
ويـــا محبـــوبتى .. مِســـكَ الختـــامِ

ذات يوم رأى مرعى وهو فى سجنه طائرًا يقف على النافذة يغرد تغريدًا جميلاً عذبًا .. وتمنى من الله أن يبعث له هذا الطائر كل يومٍ لعدة دقائق فما أجمل صوته .

مرعى :

يـــا طـــائرًا مُغـــرِّدَا ∴ مُشْقْشـــقًا مُوَحِّـــدَا
إبعـــثْ غنـــاءك للسَّجيـــ ∴ نِ فـــى ظـــلامٍ مُفْـــرَدَا

أَبْهـــجْ فـــؤادى يـــا رفيقـــى كُـــنْ لقلبـــى مُنْجِـــدا

سُـــعْدى مُنـــاى أبهجـــتْ ∴ قلبـــى بحـــبٍّ أمْـــردَا

مَـــنْ لـــى بُنزْهـــاتِ أرى ∴ مـــن الميـــاه عَســـجدَا(*)
مَن لـــى بجلَســـاتِ الرُّبَـــى ∴ مـــع الربيـــع إذ بَـــدَا

والطّيـــرُ غنَّـــى هائمًـــا ∴ مُجاوبـــا حيـــث غـــدَا
شُـــكْرًا صـــديقى عازِفًـــا ∴ قلبـــى بخَفْـــقٍ ردَّدَا

إنْ طِـــرْتَ هيَّـــا لسُعَيْـــ ∴ دَى أكّـــدَنَّ الموْعِـــدا
وقُلْ لهـــا مَرْعـــيِ حزيـــ ∴ نٌ قُـــلْ لهـــا تـــأتى غـــدَا

وكأن هذا البلبل رسول الحب والشوق فقد جاءته فى اليوم التالى تطير اشتياقًا إلى مشـــتاقٍ يحلم برؤيتها فازداد فرحه برؤيتها فنطقت سعدى شعرًا ينم عما يعتمل فى داخلها .. كل ذلـــك بقربٍ من أخويه فى السجن معه .

سعدى : تـــــاهَ وانْشَـــــرَحْ ∴ عَمَّـــــهُ الفـــــرحْ

مرعى : أنـــــتِ جَنّتـــــى

سعدى : صِـــــهْ . ولا تَـــــبُحْ

مرعى : وَجْهُـــــك الـــــذى ∴ شـــــابهَ الصـــــبحْ
شمْسُـــــنا بَـــــدَتْ ∴ ضَـــــوْؤها وَضُـــــحْ

سعدى : مَرْعِـــــى حُبُّنـــــا ∴ غـــــابَ أو سَـــــمَحْ
عقلُنـــــا ســـــبا ∴ عنـــــدما شَـــــرَح
لـــــو هجرتنـــــا ∴ دمعُنـــــا سُـــــفِحْ

مرعى: سُـــــعْدَى دُرَّةٌ ∴ عقْلُهـــــا رجـــــحْ

* عسجدا : فضة .

ذا شـــــذا الزَّهَـــــرْ ∴ عنـــــــدما تلُـــــــحْ
أنـــــــتِ سوْسَـــــــنٌ ∴ عِطـــــــرُه نَضَـــــــحْ

سعدى: أنـــــــتَ بلْسَـــــــمِى ∴ طِـــبٌ مَـــنْ جُـــرِحْ

مرعى : نـــــــورُ سُـــــــعْدَتى ∴ هـــــا هنـــــا وَضَـــــحْ
أنْـــــــت كوْكـــــــبٌ ∴ فـــــى السَّـــــما سَـــــبَحْ
يـــــــا لحاظَهـــــــا ∴ سَـــــــهْمُها جَـــــــرَحْ
لـــــــوْ تبسَّـــــــمتْ ∴ بـــــــارقٌ لَمَـــــــحْ
أوْ تكلَّمـــــــــــتْ ∴ بلبُـــــــلٌ صَـــــــدَحْ
مَـــــنْ يَفُـــــزْ بهـــــا ∴ كـــــان قـــــدْ رَبِـــــحْ
صـــــــار حِلَّهـــــــا ∴ دونمـــــــا كـــــــدَحْ
بـــــــات مُسْـــــــعَدًا ∴ قلْبُـــــــهُ انْشـــــــرَحْ

أضحت لغة الحب العذرى هو الحوار الذى يجمع بينهما والأخوان حارسان لهما ولهذا الحب العفيف .. صار يطارحها الغرام شعرًا فبادلته الشعر لما يعتمل بقلبها من دفء الحب : العاشقان يتناجيان .

سعدى :

حبيبـــــــى شِـــــعْرُهُ سُـــــكَّرْ ∴

مرعى :

وحُبِّـــــى صـــــادقٌ أَطْهَـــــرْ

سعدى :

حـــــديثُك مُنْيتِـــــى طَـــــرَبٌ ∴ أنـــــا مِـــــن شَـــــجْوِهِ أسْـــــكرْ

مرعى :

وتعجبنـــــــى سَـــــــجَاياكِ ∴ وقلبُـــــكْ دائمًـــــا جَـــــوْهَرْ

سعدى :

سُـــــــوَيْعاتٌ قضـــــــيناها ∴

مرعى :

لهـــا أحْنـــو لهـــا أَذْكُـــرْ

سعدى :

ملائكـــــــــةٌ تُبارِكُنـــــــا ∴

مرعى :

لراحتنـــــا أَتَـــــتْ تسْـــــهَرْ

وإن وقْـــتٌ لنـــا أَزَفَـــا ∴ وحـــان رحيلُنـــا . أنْـــذرْ
أعُـــدُّ اليـــوم تِلْـــوَ اليَـــوْ ∴ مِ عَلـــىَّ باللّقـــا أظْفُـــرْ
لأنْظُـــرَ وجْـــهَ محبـــوبى ∴ بليْـــلٍ ســـاحِرٍ أقْمَـــرْ

سعدى :

لِقُـــرْب دائمًـــا أصْـــبُو ∴ وبُعْـــدٍ عَنْـــكَ لا أقْـــدِرْ

مرعى :

زرعْـــتُ الحـــبَّ عُـــذْريًّا ∴ لِأَقْطِفُـــــــهُ إذا أثْمَـــــرْ
وأُسْـــمِعُها أنـــا شـــيدى ∴ لِحُـــبٍّ يـــانِعٍ أخْضـــرْ
وغنَّـــتْ لـــى أغانيهـــا ∴ وخَفْـــق القلْـــبِ كـــالمِزْهرْ
شَـــجِيٌّ راقِـــصٌ هَـــزِجٌ ∴ طَـــروبٌ عاشِـــقٌ يسْـــمُرْ

سعدى :

وميعـــادٌ أَهُـــبُّ لَـــهُ ∴ بـــلا نـــومٍ لـــه أسْـــهَرْ
نُعيـــدُ لقاءنـــا بِغَـــدٍ ∴ وأفْـــدِى صُـــبْحهُ الأنْـــوَرْ

مرعى :

وإن تـــــــأتى بميعـــــــادٍ ∴ وعَـــنْ بُعْـــدٍ لهـــا أُبْصِـــرْ
يُزغْـــــرِدُ قَلْبِـــــىَ المُشْـــــتا ∴ قُ للمحبـــــــوبِ إنْ يَخْطُـــــــرْ

سعدى :

نَطيـــــرُ إلـــــى أمانينـــــا ∴ نُحقّـــــقُ حُلْمَهـــــا الأكْبَـــــرْ

مرعى :

كـــــذا فلْنَحْـــــىَ يـــــا أملـــــى ∴ وحُبُّـــــك قائـــــدٌ يـــــأُمُر
فَسُـــــعْدَى . أنـــــت آمِرَتـــــى ∴ وحُبُّـــــك حُبِّـــــىَ الأطْهَـــــرْ

الفصل الثالث

المشهد الأول

طلب أبو زيد من الزناتى الإفراج عن بنات الأشراف وكذلك مرعى ويحى ويونس فأصدر الزناتى فرمانا بذلك وأعطاه لأبى زيد بعد أن ختمه وأمهره بخاتم السلطنة لكى ينهى قتالًا قد ينشب بين بنى حمير وعرب بنى هلال وقال الزناتى: يخرجون من سجنهم بإذن الله .

بينما ذهبت الجازية مع بنات هلال إلى خارج المدينة حيث معسكر وجيوش بنى هلال وطمأنت الجميع على أخواتها وأخبرتهم بأن أبو زيد أخذ فرمانا مختومًا بخروجهم وبنات الأشراف وبأن أبو زيد ذهب إلى سجن بنات الأشراف فى حارة زواوى لإخراجهن ففرح الشيخ جبر القريشى بذلك واستبشر بقرب لقاء زوجته ورد البها ومن معها من عقيلات وشريفات ومكث الجميع فى انتظار هذه الأخبار السارة .

وأما الزناتى فقد توجه إلى قصره وأعلم الجميع بقرب خروج الإخوة المساجين فعلمت سعدى بذلك فانتابتها مشاعر متباينة فقد فرحت لأن حبيبها سيخرج إلى النور وينسم نسيم الحرية.

وحزنت لأنها لن تراه . حيث أن خروجه معناه ذهابه إلى أهله خارج سور تونس وفى ذلك استحالة رؤيته لما بين بنى هلال وبين أبيها من حروب وخصومة . أجهشت بالبكاء وارتدت ملابسها وأسرعت باكية للحبيب . وجلست أمامه تبكى وأخذا يتطارحان الغرام .

سعدى :

أنت يا مرعى دوائى ∴ وحياتى وشفائى
إن بعدت اليوم عنى ∴ يا لبؤسى وشقائى

مرعى :

يا سُعيدَى يا ضيائى ∴ يا مثالًا للوفاءِ
إن بَعُدتِ اليومَ أغدو ∴ فى عدادِ الشُّهداءِ

سعدى :

كمْ جلسْنا وارتويْنا ∴ بين فرح وبُكاءِ
نظراتى لك كانت ∴ لِى كَقطْرات ارْتواءِ

وســـــماعِى لـــــك شـــــعرًا ∴ يـــــا لبيـــــب الشُّـــــعَراءِ
وجلوســـــى لَـــــكَ أرْنـــــو ∴ لـــــك يـــــا رمْـــــز النّقـــــاءِ
دِفْءُ حُبِّـــــى . شـــــمسُ دُنْيـــــا ∴ ىَ أنـــــارتْ لـــــى ســـــمائى

مرعى :

لا أريـــــد اليـــــوم إِطْـــــلا ∴ ق ســـــراحى فـــــى الفضـــــاءِ
لسْـــــتُ أحْيـــــا كســـــجينٍ ∴ فهُنـــــا أنـــــس الْهنـــــاءِ
فـــــى جنـــــانٍ كالفراديـــــ ∴ سِ ســـــواءٌ بســـــواءِ

سعدى :

فـــــى حيـــــاتى ومماـــــاتى ∴ لـــــك يـــــا مرعـــــى ولائـــــى
ربِّ لا تكتُـــــبْ علىْنـــــا ∴ بـــــافتراقٍ أوْ تنـــــائى

مرعى :

أَدْخَلـــــونى السِّـــــجْنَ قَهْـــــرًا ∴ قُلْـــــتُ قـــــدْ حُـــــمَّ قضـــــائى
فاسْـــــتحالَ السِّـــــجْنَ نـــــورًا ∴ بـــــك يـــــا سُـــــعْدَى الضِّـــــياء
قـــــدْ أَحَلْـــــتِ العمـــــرَ ســـــعدًا ∴ بِسُـــــويْعاتِ الْتقـــــائى
أَبْقيـــــانى مَـــــعَ سُـــــعْدى ∴ إنّ فيهـــــا لَشـــــفائى
مـــــا سَـــــجينٌ أنـــــت يـــــا مَـــــرْ ∴ عـــــى جَـــــريحَ الكبريـــــاءِ

سعدى :

بـــــل حبيـــــبٌ لسُـــــعَيْدى ∴ عنـــــدليبَ الشُّـــــعَراءِ

مرعى :

كـــــلَّ يـــــوم طـــــالَعتْنى ∴ لَبِسَـــــتْ أحْلـــــى الـــــرِّداءِ
فبـــــدت نـــــورا بهيـــــا ∴ ونقـــــاءً فـــــى نقـــــاءِ
إنَّهـــــا العـــــذْبُ الطَّهـــــورُ ∴ ووفـــــاءُ الأوفيـــــاءِ
صـــــاغها الله كنـــــورٍ ∴ شَـــــفَّ طُهْـــــرًا فـــــى ســـــمائى

بَهْجَـــــةُ الأرواحِ سُـــــعْدَى إنهـــــا خيْـــــرُ النّســـــاءِ
إنَّهـــــا الشَّـــــهْدُ المحَلَـــــىَّ شَـــــفَّ نـــــورًا بضـــــياءِ

سعدى :

إنَّنـــــى بِكْـــــرٌ بَتُـــــولٌ ∴ أنـــــت رمـــــزٌ للنّقـــــاءِ
كَيـــــف أغْـــــدو لحليـــــلٍ ∴ غيـــرَ مرعـــى . يـــا شـــقائى
مَلَـــكٌ طـــاف بروحـــى ∴ بصـــــــفاءٍ وارْتـــــــواءِ

مَـــسَّ مِـــنْ قلْبـــى شَـــغافًا ∴ بهـــــــدوءٍ وحيـــــــاءِ
فأحـــــال العمـــــرَ نـــــورًا ∴ صـــــار بَـــدْرى وذُكـــائى(*)
وإذا ليـــــــلٌ تـــــــولىَّ ∴ صـــــار لـــــى إبْـــــنَ ذُكـــــاءِ
لا تـــــــودِّعْنى حبيبـــــــى ∴ أنْـــــت أنْسِـــــى وغِنـــــائى
لا تـــــــودعنى فقُرْبـــــــى ∴ مِنْـــــكَ تـــــاجى وعلائـــــى

وهنا بلغ التأثر أقصى مداه وأجهشت بالبكاء . وارتمت نحوه تترجاه ألا يتركها ففـــى ذلـــك نهايتها وموتها إذ لا حياة لها بدونه بينما أخذ يحى ويونس يضربان كفًّا بكف ولا يدريان مـــاذا يفعلان إذ أن الخوف من ابيها يقف حائلا بين أى التقاء بين هذين الحبيبيْن المعذَّبيْن.

هذا ما جرى من أمر هذين العاشقين وما لبث عساكر الزناتى أن أتوْا إلى السجن وأخرجوا الأمراء الثلاثة من سجنهم، وألبسوهم ملابس الأمراء وساروا معهم إلى إحدى بوابـــات مدينـــة تونس فى انتظار بنى هلال فأتى السلطان حسن ومن معه من كبار بنى هلال ومقدمة الجيـــوش وأخذ إخوته بالأحضان وعاد بهم إلى مضارب بنى هلال خارج سور تونس .

أما أبو زيد فإنه توجه بالفرمان الذى معه إلى حارة زواوى يستكشف الأمر أولا . إنها حارة ضيقه . على أبوابها العبيد أمرهم الزناتى أن يقتلوا أى شخص يحاول الاقتراب أو دخول هـــذه الحارة أيًّا كان حرصًا على حياتهن وشرفهن فهو يدرى جيدا مَنْ هُنّ .

* ذُكاء : شمس . وابن ذُكاء الصُّبْح .

وجد أبو زيد العبيد على باب الحارة وهم على أهبة الاستعداد لقتل من يجرؤ على دخولها . رأى أبو زيد أنه لابد من الحيلة :

أبو زيد :

السّـــــــلامْ .. السّـــــــلامْ ∴ يـــا بَنـــى جِنْسِـــى ســـلامْ

أحدهم :

السّـــــــلامْ .. السّـــــــلامْ ∴ والتَّحايـــــــا .. لِلْكـــــــرامْ

آخر :

السّـــــلامْ .. قِـــفْ مكانَـــكْ ∴ قِـــفْ مكانَـــكْ . لا كـــــلامْ

آخر :

لـــــوْ تقـــــدَّمْتَ بخطْـــــوٍ ∴ قـــل [علـــى دنيـــاك] ســـلام
لَـــــنْ تـــــرى إلاَّ قِتـــــالاً ∴ لـــــنْ تـــــرى مِنَّـــا ســـلامْ
الزنـــــــاتى الوهيـــــــدى ∴ ســـوْفَ تُمْسِـــى فـــى الرِّغـــامْ

أبو زيد يقدم لهم منديلا به بعض الحصى عليه مُخَدِّرٌ قوى :

يـــا رفـــاقى .. يـــا رفـــاقى ∴ أنْـــــتُمُ أهـــــلُ الـــــذِّمامْ

تِلْكُـــــمُ ألـــــف مَجيـــــدى ∴ فخـــــذوها .. لا مـــــلامْ (*)
فخـــــــذوها قسِّـــــــموها ∴ أنـــــتُمُ جُنْـــــدٌ عِظـــــامْ
قـــد حَفَظْـــتُم عِـــرْضَ قـــومى ∴ مِـــــنْ تـــــدانيسِ اللِّئـــــامْ

يتجمعون كلهم ويتزاحمون ويفكون المنديل ليروْا ما به فيصـــيبهم المخـــدر ويتســـاقطون . فيتركهم أبو زيد ويدخل الحارة بسرعة البرق ويقف أمام المنزل الذى به البنات . يتكـــون مـــن طابقين . وقف تحته ينادى :

---

* ألف مجيدى : ألف دينار .

صوت موال :

ليـــه يـــا عيـــونى أخْصـــامِكْ تِخـــاليهمْ
قالِـــتْ ســـلاحى انْكسَـــرْ . مـــا أقْـــدَرْشْ أعـــادِيهُمْ
بَعْـــد مـــا كُنَّـــا فـــى لَمَّـــهْ وأنـــادِى ع الكـــبير فـــيهُمْ
زَعَـــقْ علينـــا غُـــرابِ الـــبين فَعْكِشْـــنا !!!
وصَـــبَحْت مِـــنْ وِحْـــدِتى أبـــوس أيـــاديهُمْ

أبو زيد ينادى :

يـــــا وردَ الْبهَـــــا ∴ يـــــا أُخْـــــتَ القمَـــــرْ
يـــــا وردَ البهـــــا ∴ دُرَّةَ الـــــــــــــدُّرَرْ
يـــــا فَتاتَـــــا ∴ زينَـــــةَ القُصُـــــرْ
يـــــا بناتَـــــا ∴ زينـــــةَ القُصُـــــرْ

يـــــا ابْنَـــــةَ الكِـــــرامْ ∴ يـــــا أُخْـــــتَ القمـــــرْ
إنّنـــــى هُنـــــا ∴ إنّـــــى أنْتَظِـــــرْ
رُدِّى يـــــا فتـــــا ∴ تـــــيِ مَضَـــــى العُمُـــــرْ

تُفتح النوافذ وتطل ورد البها مع الفتيات :

أبو زيد: يـــــا وردَ البهـــــا ∴ يـــــا أُخْـــــتَ القمـــــرْ
يـــــا بناتَـــــا ∴ زينـــــةَ القُصُـــــرْ

إحداهُن: يـــــا عُبَيْـــــدَنا ∴ خيْـــــرَ مَـــــنْ شَـــــعَرْ
جئْـــــتَ هـــــا هُنـــــا ∴ مـــــاذا تنْتظِـــــرْ ؟

أبو زيد: يـــــا وردَ البهـــــا ∴ زينـــــةَ القُصُـــــرْ

ورد البها: صِـــــهْ عُبَيْـــــدُ لا ∴ أنْـــتَ فـــى خَطَـــرْ
إنْ تنـــــــادِنى ∴ مـــاذا ؟ مـــا الخبَـــرْ
مـــــا لِعَبْـــــدِنا ∴ خاطَـــــبَ الزَّهَـــــرْ
هـــل مَضَـــى الزَّنـــا ∴ تِـــىُّ ؟ مـــا الخبـــر ؟

إحداهن: هَـــــــــلْ آنَ الأوا ∴ نُ إلـــــى السَّـــــفَرْ

ورد البها: صِـــهْ . أيـــا عُبُيْـــدْ ∴ كُـــنْ علـــى حَـــذَرْ
أغْلقـــــوا الشَّـــــبا ∴ بيـــــكَ والسُّـــــتُرْ

وتأمرهن ورد البها بإغلاق النوافذ وإرخاء الستائر خوفًا عليهن .

أبـــو زيـــد بِنْـــــتَ تائـــــبٍ ∴ زينـــــةَ الأُسَـــــرْ (*)
بصوتٍ عالٍ: جبـــــرُ خالُنـــــا ∴ جَبْـــــرُ ينْتظِـــــرْ

يـــــا حَلِيلَـــــةً ∴ جَبْرُنـــــا انْتصـــــرْ
فـــــى رِحابِـــــه ∴ كُلُّنـــــا افْتخَـــــرْ
إننـــــى رســـــو ∴ لٌ إلـــــى القَمَـــــرْ

فتحت النوافذ ثانية وأطل الجميع :

ورد باستغراب :

قَـــدْ تناديْـــتَ بِإسْـــمى ∴ ثـــمَّ ثنَّيْـــتَ بجَبْـــرٍ
يـــا فتـــى أفْصِـــحْ وقُـــلْ لـــى ∴ كيـــف ناديْـــتَ بجبْـــرٍ ؟

أبو زيد :

أتيْـــتُ إليْـــكِ فـــلا تعْجبِـــى ∴ ومِنْ زوجِـــكِ القرشـــىِّ الأبِـــى

* ورد البها بنت تائب .

سـآخُذُكُنَّ إلى أَهْلِكُنَّ
من السِّجْنِ هيَّا . فذا مأْرَبِي

ورد باستغراب :

أَزَوْجِيَ حَيٌّ خلالَ السِّنينِ

أبو زيد :

نعم هو حَيٌّ فلا تعجبى !!

ورد البها بلهفة :

أَحقًّا تقول ؟ أزَوْجِيَ حَيٌّ ؟؟
تكلَّمْ وأفْصِحْ . بحقّ النَّبِى

أبو زيد مؤكدًا :

نَعَمْ .. هو حَيٌّ .. حليلةَ جَبْرٍ
وجاءَ لِذِى البَلَدِ الطَّيِّب

لقد جاء يسْعَى بشوْق إليْكِ
سنغْدُوا إليه .. وفى مَوْكِبِ

ومرت سنون عجاف عليكن
... فى زمنٍ مُحْزِنٍ .. مُجْدِبِ

سيصْفو الزمان ويحنو عليْكُن
... فى زَمَنٍ مُسْعِدٍ مُخْصِبِ

أتانا لِنجْدَتِهِ بالجيوشِ
هِلالُ المعالى .. ومِنْ تغْلِبِ

أتيْنـــا بجـــيْشٍ كثيـــفٍ لثـــأْرٍ
مِـــنَ البـــاغِيَ الظـــالِمِ المـــذْنِبِ

نَـــرُدُّ الحقـــوق لأصْـــحابِها
بجـــيْشٍ مـــن الشّـــرْقِ للمغْـــرِبِ

ورد البها تسأل عن قاسم أخيها . وكان أميرًا لجيوش تونس :

وأيْـــــن قاســـــم ؟ أيْـــــنَ
قـــاهِرْ جيـــوش الأعـــادى ؟

أصْـــبو إليـــه بِشـــوْقٍ
فـــى صَـــحْوَتى وسُـــهَادِى

أخـــى شـــقيقى وروحـــى
حمـــــاهُ رَبُّ الْعِبـــــادِ

أبو زيد يلقى بمفاجأة رهيبة لم تكن تتوقعها :

قـــدْ جَنْـــدَلوهُ بِقَتْـــلِ
فـــوق الثَّـــرى بالعتـــادِ

مُـــدافِعًا عَـــنْ ذَوِيـــهِ
يَسْـــمُو بـــدونِ ارْتـــدادِ

بـــالرُّوحِ جـــادَ دِفاعًـــا
يَحْمِـــى بكُـــلّ اجْتهـــادِ

الكُـــلُّ أثْنَـــوْا عليْـــهِ
كـــانوا مِـــنَ الأشْـــهادِ

وقـــال أفْـــدِى بروحِـــى
بـــالرُّوحِ أفْـــدِى بـــلادى

ورد البها وقد علمت لأول مرة بمقتل أخيها واستشهاده فى الوغى فلم تتمالك نفسها وشـقت ثيابها عند صدرها كمن فقدت عقلها وأبو زيد يأسى لها فقد صدمت بقتل أخيها قائـد الجيـوش ووقف أبو زيد أسفل المبنى يتطلع إليها وهى تتكلم وتصرخ بينما كان هو مشغولاً بشئ آخر .

لقد رأى حروفا مكتوبة على صدرها بالخضاب الأخضر فتركها تولول حزينة وحـاول أن يغمض عينيه حتى لا يرى. ولكنه كلما أغمض عينيه فتحها الشيطان إبليس رغما عن أبى زيد . لقد نظر أسفل نهديها وتطلع مرة ومرة . وقرأ ما هو مكتوب.

ورد البها :

واقســـــــماهُ حبيبـــــــى ∴ يـــــا جيِّـــــد الأجْـــــوادِ

أبو زيد هامسًا فى سره :

جـــيمٌ أبـــا زيـــد حَـــرْفٌ ∴ بـــــــاءٌ وراءٌ تُنـــــــادِى

ورد البها :

الحـــــــزنُ زاد لهيبًـــــــا ∴ فـــــى صَـــــدْرِىَ الوقَّـــــادِ

أبو زيد فى سره هامسًا :

وتحتهـــــــا الـــــــواو ورْدٌ ∴ بدقَّـــــــــةٍ واعْتـــــــــدادِ

ورد البها تبكى :

أخـــــى حبيبـــــى تـــــولىَّ ∴ سُـــحْقًا لكـــمْ يـــا أعـــادِى

أبو زيد فى سرِّه هامسًا :

جبـــــرٌ بـــــأوّل سَـــــطْرٍ ∴ تحـــــت النُّهـــــودِ ينـــــادى
أســـــــفله وردُ البهـــــــاءِ ∴ كـــــل الحـــــروف بـــــوادى

جـــــبر

ورد الْبها

ورد الْبها :

الصـــــمت يبـــــدو عليـــــكَ ∴ والنـــــار تُضـــــنى فـــــؤادى

أبو زيد وهو لا يقدر على نظم الكلمات من شدة الارتباك :

ماذا ؟ جبر ؟ حرب !! نصر !! جبر !! فؤادى

ورد البها تصيحُ فيه :

انطـــقْ أيـــا عبْـــدُ قُـــلْ لـــى ∴

أبو زيد ما زال لا يقدر على نظم كلامه :

لا بأس ! ماذا ؟ الأعادى

ورد البها تستحثه على الإكمال

مـــــاذا دهـــــاك ؟ تكلَّـــــمْ ∴ ولا تـــــــدَعنى أُنـــــــادِى

أبو زيد وقد تدارك نفسه :

هيّـــا انزلـــى مِـــنْ قصـــورٍ ∴ بهِمَّـــــــــةٍ وســـــــــدادِ
للأهْـــــلِ نغْـــــدو ســـــويًّا ∴ عزيـــــــــزةَ المـــــــــيلادِ

ورد البها تتكلم بحدة وإصرارْ :

نـــــرفُض العـــــوْدَ بـــــذلٌ ∴ قـــدْ قطعْنـــا – قبْـــلُ – عهْـــدَا
حَمْيَـــــرٌ ذَلّـــــوا بـــــلادى ∴ ورثـــــوا مـــــالا ومجْـــــدَا
ظلمـــــوا كُـــــلَّ شـــــريفٍ ∴ أورثواهمـــــــــا ولَحْـــــــدَا
فـــى دِمـــا الأشـــرافِ داســـتْ ∴ خـــــيْلُهُم صـــــدْرًا وزِنْـــــدا
وأطـــــــاحوا برقـــــــابٍ ∴ ظُلْمهـــــم بـــــاغٍ تعـــــدَّى

أبو زيد :

تلـــــك أيـــــامٍ خـــــوالٍ ∴ أَرَّخَـــــتْ للظُّلْـــــمِ عَهْـــــدَا

ورد :

أبْلِـــغْ جيوشَـــكَ قـــوْلا ∴ أبْلِـــغْ سِـــباعًا وأُسْـــدَا
فـــلا خـــروجَ بصـــمتٍ ∴ بـــل جيْشُـــنا واســـتعدَّا

أبو زيد :

إذن تريـــــدين حَرْبًـــــا ∴

ورد :

تَقِـــــدُّ حَمْيَـــــرَ قَـــــدَّا

مـــع البنـــات خروجـــى ∴ علـــى الجمـــال عَلَنْـــدى

أبو زيد مقتنعًا ومكمِّلاً :

وفـــى الهـــوادج حـــورٌ ∴ بَـــدْرُ السَّـــماءِ تبـــدَّى

ورد البها :

رايـــاتُ نصْـــرٍ وتعلـــو ∴ عِـــزًّا . وتاجًـــا .. ومَجْـــدَا
أبطالنُـــا فـــى وثـــوبٍ ∴ للحـــرْب شَـــدُّوا شَـــدَّا

هَـــذِى شـــروطى وعَهْـــدِى ∴ نصْـــرًا – وثـــأرًا – وعـــوْدَا
خُروجُنـــا لقبـــورٍ ∴ أوفـــى الهـــوادِجِ سَـــعدَا

أبو زيد

إذِنْ تُريـــــدينَ حَرْبـــــا ∴ تُقِـــــدُّ حَمْيَـــــرَ قـــــدَّا

ورد البها

نَعَـــمْ رســـولَ حبيبـــى ∴ إلاّ إذا كنُـــتَ عَبْـــدَا

أبو زيد

يـــا ورْدُ يـــا بِنْـــتَ تائـــبْ ∴ أُريـــــــدُ أىَّ أمـــــــارهْ
تكـــون رمـــزًا لصِـــدْقى ∴ عنـــد الكـــلامِ إشـــارهْ

ورد تقذف له بمسبحه زوجها أماره:

سُـــبْحَةُ زوْجِـــى لآلِـــى ∴ خـــذها فـــنعم الأمـــارهْ
وإن رآهـــا سَـــتُغْنِى ∴ عـــن قـــولتى والعبـــاره
مَسَّـــتْ أنامِـــلَ زوْجـــى ∴ ويالهـــا مـــن إشـــارهْ
تُضـــئُ مثـــل نجـــومٍ ∴ فـــى ليْلنـــا نـــوَّارهْ
حَفَظْتهُـــا بثيـــابى ∴ تُراثَـــهَ .. آثـــارَهْ

المشهد الثانى

فى معسكر بنى هلال جلس الجميع ينتظرون أبا زيد – بعد أن خرج مرعى ويحى ويونس من السجن وعادوا إلى أهلهم – أما أبو زيد فقد انصرف من عند بنات الأشراف على وعهد بالرجوع إليهن فى الغد ومعه الجمال وعليها الهوادج يتقدمها ويحيط بها ويحرسها فرسان بنى هلال .

وصل أبو زيد إلى معسكر بنى هلال فوجدهم ينتظرونه على أحر من الجمر وخاصة جبر القريشى .

أبو زيد

علـــــيكُمْ جميعًـــــا ســـــلامٌ ســـــلامْ

الجميع

ســـــلامٌ . ســـــلامٌ . ســـــلامٌ . ســـــلامْ

جبر

أبـــــا زيـــــد أيـــــن نســـــائى وورْدُ ؟

أبو زيد

ذهبـــــتُ إلـــــيهنّ أَبْغـــــى المـــــرامْ

فناديـــتُ يـــا خـــال تحـــت القُصـــورِ
فـــــتَحْنَ النوافـــــذَ . ظِبـــــاءٌ . آرامْ

وناديْـــــــــتُ ورْدًا .. وكلَّمْتُهـــــــــا
وردَّتْ كلامـــــــى بكـــــلّ احتـــــرامْ

وقالـــــت عُبَيْـــــدِيُّ يَهْـــــذِى كلامًـــــا
فقلـــــتُ اســـــمعينى – أبـــــدْرَ التَّمـــــام

وأخْبَرْتُهـــــــا أنَّ خـــــالى هُنـــــا
أتـــــى للـــــبلاد بقـــــومٍ كِـــــرَامْ

هـــــلالُ المعـــــالى بجـــــيْشٍ كثيـــــفٍ
لِـــــرَدِّ حقـــــوقٍ بحـــــدِّ الحســـــامْ

أبَـــــيْنَ خُروجًـــــا ذلـــــيلاً مهينًـــــا
عقـــــيلاتُ قـــــوْمٍ لهُـــــنَّ ذِمـــــام

يرُيـــــدُونَ عـــــوْدًا بجـــــيْشٍ كثيـــــفٍ
يحـــــيُط بهُـــــنَّ الشُّـــــجاع الهُمـــــامْ

وألْقـــــــتْ إلـــــــىَّ بِمِسْـــــــبَحَةٍ
دلـــــيلاً لصِـــــدْقِىَ عنـــــد الكـــــلامْ

وهـــــا هـــــى يـــــا خـــــالُ أُعطيكَهـــــا
لِصِـــــدْق كلامـــــى كبَـــــدْرِ التَّمـــــامْ

جبر ينكر كل ما سمع من أبى زيد ولا يصدقه :

أبـــا زيْـــدُ مـــا قـــد رأيْـــت نســـائى
وكـــــلُّ كلامِـــــك كِـــــذْبٌ . حـــــرامْ

وأخرجَـــتَ مرعـــى ويحـــى ويـــونسْ
فـــأيْن النســـاءُ كثيـــرَ الكـــلامْ ؟

أبو زيد منفعلاً :

يمينًـــا أيـــا خـــالُ أنّـــى صَـــدوقٌ
وَسَـــلْ كُـــلَّ أهلـــى ألا يـــا هُمـــامْ

جبر :

كَـــذِبْتَ أيـــا عَبْـــد كيـــف جَـــرُأْتَ
(بحـــارَة زواوى) علـــى الاقتحـــامْ ؟

جبر . وملتفتا إلى القوم مستنكرًا :

ومِسْـــــبَحَةٌ أتـــــى لـــــى بهـــــا
وآلافُهـــــا فـــــى يَـــــدِ الأقـــــوامْ

بَلَـــى .. والمئـــاتُ مـــن المِسْـــبَحَاتِ
تُصَـــنَّعُ للنـــاسِ فـــى كـــل عـــامْ

أبو زيد ثائرًا

يمينًـــا أيـــا خـــالُ أنّـــى صَـــدُوقٌ
وأُقْسِـــمْ بِـــرَبِّ لبيْـــتٍ حـــرامْ

ولكـــن هنـــاك أمـــاراتُ صِـــدْقِى
إذا قلتُهـــا فعلـــىَّ الســـلامْ

السلطان حسن :

تكلَّـــمْ أبـــا زيـــد أنـــتَ صـــدوقٌ
فهـــاتِ الأمـــاراتِ . لا . لـــن تُضـــام

جبر

ومـــاذا يقـــول ؟ كـــذوبٌ كـــذوبٌ
كـــذوبٌ لَعَمْـــرِى .. كثيـــرُ الكـــلامْ

أبو زيد يعيد كلامه

أقـــولُ هنـــاكَ أمـــارات صِـــدْقى
وإن أغْضـــبتْكَ فـــلا . لا مـــلامْ

إذا قُلتُهـــا يـــا أميـــرى بِوَصْـــفٍ
ســـمعتُ ردُودًا كطعْـــنِ الســـهامْ

وقُلْـــــتُمْ علـــــىَّ تَعَـــــدَّى أصـــــولاً
وطـــــــالبنى جبـــــــرُ بالاحتشـــــــامْ

جبر ساخرًا منه

تُهَـــــدِّدُنا يـــــا عُبَيْـــــدُ ؟ تكلَّـــــمْ
أجِـــــبْ بالأمـــــارة . لا لـــــن تُضـــــامْ

أبو زيد

أقـــــول أمـــــاراتِ صِـــــدْقِى جليَّـــــا
شـــــهودٌ عليـــــكَ رجـــــالٌ كِـــــرَامْ

ولا تصِـــــفَنّى أيـــــا خـــــالُ وصْـــــفًا
بـــــأنى رســـــول أضـــــاع الـــــذّمامْ

جبـــر: تكلـــمْ . فصـــبْرى عليْـــك تلاشـــى
ولا وقْـــــت عنْـــــدى . كثيـــــرَ الكـــــلامْ

أبو زيد

لقـــــد ســـــألتْنى علـــــى قاســـــمٍ
أخوهـــــا قويًّـــــا كحـــــدِّ الحُســـــامْ

فقُلْـــــتُ لهـــــا قاســـــمٌ مـــــات فـــــى
دفـــــاعٍ عـــــن الأرض مَوْتًـــــا زؤامْ

وراحَ شـــــــــــهيدًا لأوطانِـــــــــــهِ
أُحيـــــلَ عليـــــه الثَّـــــرَى والرَّغـــــام(*)

* الرغام : التراب .

فشَـــــقَّتْ ثيابًـــــا . وبانـــــتْ نُهـــــودٌ
ونقْـــــشُ الخضـــــابِ قـــــرأْتُ الكـــــلامْ

وتحْـــــتَ النُّهُـــــودِ قـــــرأْتُ المعـــــانى
بَسْـــــطرَيْنِ نقْـــــشٌ . ألا يـــــا هُمـــــام

حبيبـــــــىَ جَبْـــــرٌ بـــــأوَّلِ سَـــــطْر
وأســـــفلُ سَـــــطْرٍ كمـــــالُ النظـــــامْ

فجبـــــر حبيـــــب لـــــورد الْبهـــــاء
وورْدُ البهـــــــاءِ ختـــــام الكـــــلامْ

يثور الأمير جبر ويرفع الحسام على الأمير أبى زيد ويقوم بنو هلال جميعا بمنع جبر مـن ذلك .

جبر

ذَهَبْـــــتَ لِطَعْـــــنٍ كغَصْـــــبانِها
وثـــــأْرٍ لمقْتـــــلِ سُـــــكَّانِها

إذا بِـــــكَ تـــــأتى بقـــــولٍ سَـــــفيهٍ
لصَـــــدْرِ النّســـــاءِ ورُمَّانِهـــــا

أحد رجال بنى هلال

حنانَيْـــكَ يـــا جبـــرُ هـــذا أبـــو زيـــدُ
... قـــــادَ السَّـــــفين كرُبَّانهـــــا

وفـــى البَـــرِّ كـــان شـــبيه الأســـودِ
وفـــى البحـــرِ صـــال كحيتانِهـــا

جبر يهم مرة ثانية بضرب ابى زيد فيمنعه الرجال:

دعـــونى أيـــا قـــومُ أُشْـــفِى غليلـــى
وأُطْفِـــــــى بقتْـــــــلٍ لنيرانِهـــــا

فهـــــذا العُبيْـــــدُ قضَـــــى عُمْـــــرَهُ
بِعِشْـــــقِ الحســـــانِ (ونســـــوانِها)

أحد رجال بنى هلال :

لقـــد كـــان يُغمِـــضُ عيْنًـــا حيـــاءً
فتنقـــــــادُ عـــــــيْنٌ لشـــــــيْطانِها

آخر

حنانيْـــك يـــا جبـــرُ هـــذا أبـــو زيـــدُ
... حـــــامى هـــــلالٍ كقيْـــــدومِها

آخر

وسُـــــكَّرُنا فـــــى زمـــــانٍ وريـــــفٍ
ومُـــــرُّ الأعـــــادى .. وهجّامِهـــــا

وترتَـــــعُ أنعامُنـــــا فـــــى ســـــلامٍ
بإِسْـــــمِ أبـــــى زيـــــد ضِـــــرْغامِها

وكُـــــلُّ هلالـــــىٌّ بـــــاتَ يُبـــــاهى
ويعْلـــــو ويســـــمو بمقْـــــدامِها

ومـــــا عـــــابَ يومًـــــا بـــــأى نســـــاءٍ
وكـــــان الأمـــــين لأرحامهـــــا

❁❁❁❁❁❁

السلطان حسن يلوم على أبى زيد أنه ذكر تلك الأمارات

قال أبو زيد : لقد كذبنى !! فماذا أفعل ؟

قال حسن : تفعل ما يريده منك . ورضاه أن تأتى له بزوجته ومن معها من البنات .

أبو زيد يعدهم بأنه فى الغد سيوفى بوعده . وليساعده الله .

ثم إن الأمير جبر أخذ يخط بخطابٍ ليبعث به مع أبى زيد إلى زوجته.

الأمير جبر القريشى :

أَمِنْ ذِكْر ورد البهـــا زوجتـــى ∴ وصـــــفو الحيـــاة وتـــذكارها
سلامُ إلى وردتـــى يـــا نســـيمُ ∴ وطُـــف بـــالخزامى وأزهارهـــا
ومِلْ للورود تحمَّـــلْ عطـــورًا ∴ لتهـــــدِى إليهـــــا بمختارِهـــــا
ومن نرجسىِّ الحدائق فاحمـــلْ ∴ نســـــيمَ شـــــذاها بآذارِهـــــا
وعرِّج على سوسنات الجنـــانِ ∴ لتنثُـــرَ عطْـــرًا علـــى دارِهـــا
ومـــن جُلّنـــارِ نـــدىّ الشَّـــذى ∴ وبُـــحْ بـــالعطورِ وأســـرارِها
ومن مْوج أنهارهـــا فاغْتسِـــلْ ∴ لتُهـــــدى بمعطـــــار نوَّارهـــــا
ويا ليلُ كـــن هادئـــا ســـاحرًا ∴ ونومًـــــا قريـــــرًا لأقمارهـــــا

المشهد الثالث والأخير

مقدمة : أبو زيد . يأخذ ثلاثين جمل وثمانين فارس ووضع على كل جمل هودجًا وألبس كل فارس ملابس الحرب وفوقها جلباب العبيد والخدم.

وقال لهم سنسير فى أمان وسلام ما دام هناك سلام ولكن إذا جد الحرب اخلعوا الجلابيب وعليكم بالسيوف والحراب.

وعندما اقترب أبو زيد من مدخل حارة زواوى قابله العلام يعترضه فأراه الفرمان – فأخبره العلام بأنه كان فى مجلس الزناتى وسمع فرسان الزناتى يقولون أنهم أحق ببنات الأشراف فخذ حذرك.

وقد قال الزناتى للعلام: كانت شرارة نار تطفى من الندى

قويتها يا علام زادت لهايب

قال أبو زيد للفرسان الذين معه: أسمعتم ؟ خذوا حذركم.

أوقف أبو زيد الفرسان بالهوادج قريبا من الحارة مع الجمال واحتال لدخول الحارة بأن لبس ملابس السَّقَّا العجوز الذى يملأ الماء للبنات وحمل القربة على ظهره بعد أن صبغ وجهه ونادى على البنات ففتحن له فصعد يجرى بسرعة إليهن لينجز مهمته. ويطلب الستر من الستار.

رأته ورد البها فلم تعرفه وقالت له: سأكتب لك خطابا تسلمه لزوجى جبر القريشى خارج المدينة مع أعراب نجد .

وأخذت تكتب وهو بجوارها يزيل ما على وجهه من أصباغ يُسمع هذا الموال :

يا عين ليه تنظرى لأهل الجمال تانى
ما كَنْتِ قلت خلاص وإيه اللى جرى تانى
عمر اللى فات يا عيونى لم ييجى تانى
برضُه يا عين اصبرى على هجر الحبيب وجفاه
يمكن زمان الهنا يرجع ييجى تانى

ورد البها تغنى وهى تكتب الخطاب :

زوجـــى حبيبـــى أيـــا عِطْـــرى .. وريْحـــانى
يـــا مهجـــة القلـــب .. يـــا روحـــى .. ووجـــدانىِ

يـــا منبـــعَ الحـــب .. يـــا عشـــقى ويـــا أملـــى
ويـــا زمـــانَ الصـــفا مـــن عنـــد رحمـــانِ

كانـــت حيـــاتى علـــى الأيـــام مُسْـــعدةً
بقُـــرْب زوجـــى حبيبـــى .. نـــور أعيـــانى

عشـــنا حيـــاةً جنـــان الخُلْـــدِ باديـــةً
جنـــانُ عـــدنٍ – نعـــم – جنَّـــاتُ رضـــوانِ

وكـــم ضـــحكْنا وكـــان الحـــب حارســـنا
والـــدهرُ حـــانٍ علينـــا أى تحْنـــانِ

دارَ الزمـــان علينـــا ثـــم فرَّقَنـــا
صـــفا زمـــانى وبعـــد الصَّـــفْوِ أبكـــانى

هـــل يـــا تُـــرى قـــد أعـــاد الـــدَّهرُ دورتَـــهُ
لنســـتعيد الصـــفا مـــن بعـــد أحزانـــى

مـــرَّت ســـنونٌ عجـــافٌ يـــا لـــذلَّتنا
بكيـــتُ فيهـــا دموعـــاً فـــيْض تهْتـــانِ

التفتت ورد البها إلى السقا فوجدت أمامها أبا زيد. وأعلمها بحيلته وأخذ منها الخطـاب ثـم سلمها خطاب جبر وقال لها لا تحزنى فنحن الآن جميعا ذاهبين إلى زوجك خارج المدينة:

أبو زيد :

يـــا وردُ لا تحزنـــى فـــالحزن قـــد ولـــىّ
ولـــىَّ وزال الضَّـــنا . بفضـــل مَنَّـــانِ

ورد البها وهى تبكى :

نعـــم . ليـــال الصـــفا تحنـــو علـــى مثلـــى
فكـــم ليـــال بكـــت بالـــدمع أجفـــانى

يـــا عبـــد هـــذا جميـــلٌ لســـت أنســـاه
أحســـنت لـــى يـــا فتـــى وأىّ إحســـان

أبو زيد يطمئنها :

أميرتـــى .. اعلمـــى وافهمـــى أمْـــرًا
فجبـــرُ خـــالى

ورد البها : فيـــا فَخْـــرِى بشُـــجْعانِ

جبـــر القريشـــىُّ خـــالٌ للفتـــى . مَرْحَـــى
يـــا سَـــعْدُ أقْبـــلْ . ويـــا بُعْـــدًا لأحزانـــى

أبو زيد يخاطب جميع البنات :

هيـــا شـــريفاتِ قـــومى ارْكـــبْنَ فـــى عِـــزٍّ
هوادِجًـــا زُيِّنَـــتْ تزهـــو بتيجـــانِ

وارحلْـــن عـــن سِـــجْنِكنَّ اليـــوم فـــى نصْـــرٍ
هيّـــا إلـــى قومنـــا . شُـــكْرًا لرحمـــان

مهمـــا جَـــرَى يـــا فتـــاتى مِـــنْ قتـــالٍ أوْ
ضـــــرْبٍ فـــــلا تُسْـــــمِعونا أىَّ أحـــــزانِ

لا تُســـــمعونا ســـــوى للنّصْـــــرِ أغنيـــــةً
وأســـــــمعونا زغاريـــــــدًا بألحـــــــانِ

كِيـــــــدوا عـــــــدوَّكُمُ واللهُ ناصـــــــرُنا
رُدُّوا إلـــــى نحـــــرِهِ كيْـــــدًا بـــــإعلانِ

نزلت الفتيات من القصر فوجدن الجمال عليها الهوادج قد أرسلها العلام أسفل القصر، وفزع عبيد الحارة إلى الزناتى فخرج الزناتى بفرسان حمير.

ركبت البنات الهوادج على الجمال وسار أبو زيد أمامهم وقال لورد البها : أكـرر كلامـى مهما يحدث من مصادمات لا أريد أن اسمع منكن صراخاً بل أريد أن استمع إلـى الزغاريـد والغناء لأننا الآن منصورين بعون الله مفهوم يا حليلة جبر ؟

ردت عليه : تمام .. أيها الفارس الهمام .

خرج أبو زيد بالصبايا على الجمال فى الهوادج وأمامهم وخلفهم الفرسان من هـذه الحـارة متجهين إلى سور المدينة عند بوابة منصور فقابله بعض الكمائن من بنى حمير فانتصر علـيهم جميعًا أبو زيد .

وسار الجميع قُدُماً نحو بوابة المدينة .

الفتيات يأخذن فى الغناء والزغاريد . وقد تكونت مجموعتين أولاهما بقيادة ورد البها تحدى الغناء . والثانية ترد عليها .

ورد البها ومن معها :	الجماعة الثانية :
يـــــــا رجالَنـــــــا	قلبُنـــــــا انشـــــــرحْ
جئتمـــــــوا لنـــــــا	جاءنـــــــا الفـــــــرحْ
زال ســـــــــــجنُنا	قـــــد مضـــــى التَّـــــرَحْ
هـــــــذا يومُنـــــــا	بـــــــارقٌ لمـــــــحْ

رُدُّوا كيْـــــــــــــــــدَهم جاءنـــــــــــا الفـــــــــــرحْ
فـــــــــــى نحـــــــــــورِهِمْ جاءنـــــــــــا الفـــــــــــرحْ
هيَّـــــــــــا للعُـــــــــــلاَ جاءنـــــــــــا الفـــــــــــرحْ
يـــــــــــا رجالنـــــــــــا جيشُـــــــــــنا نجـــــــــــحْ
يـــــــــــا حـــــــــــارة زوا وَى هنـــــــــــا الفـــــــــــرحْ
فـــــــــــى وَدَاعِـــــــــــكِ جاءنـــــــــــا الفـــــــــــرحْ
يـــــــــــا حُرَّاسَـــــــــــهَا جاءنـــــــــــا الفـــــــــــرحْ

وصل أبو زيد إلى بوابة تونس وتعجل فضرب الباب بالسيف ليفتحه فانكسر السيف ولم يفتح الباب .

قالت ورد : ما هذا يا عم سلامه ؟ ألا ترى أن الباب مصفح بالحديد ؟

رد أبو زيد : آه .. واحر كبداه لقد خطّطتُ لفتح هذا الباب

حين دخلت ولم تفتحه سوى الجازية بنت سرحان بالحيلة .

قالت ورد : وأين الحيل للخروج بالبنات والهوادج ؟ وقد يدركنا فرسان الزناتى وبنى حمير.

أبو زيد : خطَّطْـــــتُ للـــــدخولِ ∴ فكيـــــف بـــــالخروجِ

ورد : البـــــاب بالحديـــــد ∴ أُغْلِـــــق بـــــالرُّتوجِ

أبو زيد يهمس بحسرة: فيـــك يـــا بـــابُ شـــقائى ∴ وبمصـــــراعيك دائـــــى

ورد البها : مهـــــلاً أيـــــا ســـــلامهْ ∴ بموْكـــــبِ الحجـــــيجِ
كُـــــنْ هادئًـــــا بُنَـــــىَّ ∴ ومُطْفِـــــئَ الأجَـــــيجِ
ولا تكـــــنْ قلوقًـــــا ∴ كأســـــدٍ مَهِـــــيجِ
نـــــدعوك يـــــا إلهـــــى ∴ بِسِـــــلمٍ فـــــى الخـــــروجِ
بحـــــقّ ســـــورة طـــــه ∴ والفـــــتحِ والبـــــروجِ

وفى تلك اللحظة ضربت ورد البها بكف يدها اليمنى على جبهتها كأنما قد تذكّرَتْ شيئًا نسيتْهُ وقالت بفرحة :

سوف أحل لك هذه المشكلة

قال أبو زيد : كيف ؟

قالت : سأنادى على زوجى

سألها : زوجك ؟ ألا تدرين أن بيننا وبينهم مسيرة نصف يوم ؟ فكيف ستنادين عليه ؟

ردت : بالطّبْلَة

أجاب : طبلة ؟ أية طبلة ؟

قالت : اسمع يا فتى .. كنت أنا وزوجى أيام العز والهناء والصفاء نخرج نصيد الغزلان من الجبال .. فيبتعد عنى ليصطاد وكان معنا طبلتان (كُنوزى) يسمع صوتهما على مسيرة يوم . إحداهما مع جبر والأخرى معى .

وحين يبتعد عنى ويريد محادثتى يصعد لأعلى الجبل وينقر بها نقرات اتفقنا نحن الاثنان عليها – ينقر لى نقرات على الطبلة وأرد عليه وألاغيه بلغة نقر الطبلة فنفهم نحن الاثنان اللغة والمراد وهل اصطاد وأين مكانه ومتى سيحضر . وأرد عليه فيعرف منى هل أنا بسلام ؟ أم أن هناك أخطاراً تهددنى ؟

والآن أنا معى هذه الطبلة أحضرتها معى . وأخرجت ورد البها طبلة صغيرة غريبة الشكل مطعمة بالذهب اللامع والفضة الخالصة .

ورد البها : إن فتح الباب سَعْدِى
يا لِقُرْبٍ فى اللّقاءِ

إقْبَل اللهم مِنّى
ربِّ حقّقْ لى رجائى

أبو زيد : ربُّنا ربٌّ رحيم
وسميعٌ للدُّعاء

ورد : قـــــــدْ تـــــــذكَّرْتُ ولِيـــــــدى
شُـــــــكْرنا ربَّ الســـــــماءِ

طبْلتِـــــــى هيّـــــــا انجـــــــدينى
واصْـــــــرفى عنّـــــــى عنـــــــائى

ســـــــأنادى لحبيبـــــــى
طبْلتـــــــى رمـــــــزُ الوفـــــــاءِ

أبو زيد : طبْلَـــــــةٌ ؟ مـــــــاذا أردْتِ ؟

ورد : إنهـــــــا رمـــــــزُ الـــــــذكاء

أبو زيد : بيننـــــــا يـــــــا وردُ بَـــــــوْنٌ
شاســـــــعٌ عَبْـــــــرَ الفضـــــــاءِ

ورد : إنهـــــــا طبْـــــــلٌ كُنـــــــوزى
هـــــــى رَعْـــــــدٌ بســـــــواءِ

ســـــــوف يســـــــمعها حبيبـــــــى
ســـــــوف يســـــــمعها شـــــــفائى

كـــــــان يأخـــــــذنى لقـــــــنْصٍ
مـــــــن صـــــــباحٍ لمســـــــاءِ

يبتعِـــــــدْ عنـــــــى حبيبـــــــى
فـــــــى جبـــــــالٍ وخـــــــلاءِ

وإذا أنْهَـــــــــــى اصْـــــــــــطيادًا
يُعْلِمَنّـــــــــــى بالغنـــــــــــاءِ

يُخْبرَنّـــــــــــى بالمكـــــــــــانِ
بصـــــــــــفاءٍ ونقـــــــــــاءِ

وبنَقْـــــــــــرِ الطَّبْـــــــــــلِ لاغـــــــــــا
نـــــــــــى بصـــــــــــوتٍ ونـــــــــــداءِ

فيلاغينـــــــــــى بنَقْـــــــــــرٍ
كامـــــــــــلٍ حُلْـــــــــــو الـــــــــــرُّواءِ

وعلـــــــــــى تـــــــــــلٍّ علـــــــــــيٍّ
كُنـــــــــــتُ أُصْـــــــــــغِى لشـــــــــــفائى

وأردُّ الطَّبْـــــــــــل نقْـــــــــــرًا
وأُجيـــــــــــبُ بـــــــــــذكاءِ

ذاك سِـــــــــــرٌّ يـــــــــــا عُبَيْـــــــــــدِى
أبو زيد : ذا غـــــــــــرام الأوْفيـــــــــــاءِ

فأرينـــــــــــا ورْدُ نَقْـــــــــــرًا
بطبـــــــــــولٍ كالغنـــــــــــاءِ

وأرســـــــــــلى منـــــــــــى ســـــــــــلامًا
ورد : إرفعـــــــــــونى للبنـــــــــــاءِ

ورفعوها فوقفت فوق سور المدينة وأخذت تُنقّرُ على الطبلة وتُحدّثُها كأنَّما تناجيها:

ورد :

خفقـــــــاتِ القلـــــــب نـــــــاجى
طبلتـــــــى عَبْـــــــرَ الجـــــــواءِ

همســـــــــــاتى لحبيبـــــــــــى
اسْـــــــبحى عَبْـــــــرَ الفضـــــــاءِ

ثُـــــــمّ بُثّيـــــــه اشـــــــتياقى
وحنينـــــــــــى وبُكـــــــــائى

يـــــا مُنـــــى قلبـــــى وروحـــــى
كـــــــلُّ صُـــــــبحٍ ومســـــــاءِ

يـــــــا نســـــــيمًا عبقريًّـــــــا
اسْـــــــبَحَنّ فـــــــى الهـــــــواءِ

أحمـــــــل القـــــــبلاتِ منـــــــى
سِـــــــرْ لجـــــــيشٍ ولـــــــواءِ

قـــــل لهـــــم هيـــــا أنجـــــدونا
قـــــل لهـــــم ردُّوا نـــــدائى

قـــــل لهـــــم هيـــــا أجيبـــــوا
بجيـــــــــوشٍ كالقضـــــــــاءِ

فـــــــأبو زيـــــــدٌ وحيـــــــدٌ
مَـــــــعْ بنـــــــاتٍ كالظّبـــــــاءِ

قـــــــدْ نبـــــا الســـــيفُ فهيَّـــــا
أنقـــــــــذوهُ مـــــــن عنـــــــاءِ

إجمعـــــــوا الفرســـــــانَ هيـــــــا
وأجيبـــــــــــوا لنـــــــــدائى

وعندما انتهت ورد ابتسمت ونظرت إلى أبى زيد وابتسمت فى ثقة.

سألها أبو زيد : ماذا حدث

أجابت : أخبرتُهم بما نحن فيه .. استعدّوا سيحضرون إليكم على وجه السرعة.

قال الراوى: سمع زوجها الأمير جبر القريشى وهو فى معسكر بنى هلال – سمع نقـرات الطبل الكنوزى ، فعرف أنها زوجته.

وطلب ممن حوله من بنى هلال الصمت والسكون.

وأصغى جيدا بأذنه يستقبل صوت الطبل آتٍ من بعيد وهو يهز رأسه ويفهم ما يُراد ، فعرف المضمون وماذا زوجته تقول .

فقال : آه .. واحرَّ قلباه .. وأغمى عليه

أفاقوه بالروائح الزكية فانتبه وقال : سبحان الله .. وأشهد أن لا إله إلا الله.

قال السلطان حسن : ماذا هناك يا أمير جبر ؟

جبر : أما سمعتم نقر الطبلة .

قالوا : بل سمعناه .. ينقر من بعيد ولكن ما معناه ؟

وعاد الطبل ينقر مرة ثانية بنفس المعنى مؤكّدًا

جبر : الصّـــــمتُ يـــــا قوْمَنـــــا ∴ طبـــــــــلٌ ينـــــــــادينى

أحدهم : يـــــا عـــــمُّ مـــــاذا تقـــــول ؟ ∴

جبر : طبـــــــــلٌ ينـــــــــادينى

حسن : الطبـــــلُ يـــــا عمنـــــا ؟ ∴

جبر : حُبِّـــــــــى ينـــــــــادينى

حسن : أفْصـــــحْ أيـــــا عمَّنـــــا ∴

جبر : ورْدٌ تنـــــــــــــــــادينى

آمنْـــــتُ بـــــاللهِ مُحـــــــْ ∴ يينـــــــى ومنشـــــــينى

جبر يغمى عليه مرة أخرى .. أفاقوه بالروائح الزكية وسألوه عن الأمر

حسن : أفِـــــقْ أيـــــا عمَّنـــــا ∴

جبر : زوجـــــــى تنـــــــادينى

أما سمعتم ؟

حسن : بَلَـــــى

جبر : طبْـــــــلٌ يلاغينـــــــى

ورِدُ البهـــــا زوجتـــــى ∴ صـــــوتٌ ينـــــاجينى

حسن : **فسّـــــر أيـــــا عمنـــــا** ∴

جبر : **وردُ الرَّيـــــــــــــاحينِ**

سمعًـــــا صـــــديقى ويـــــا ∴ زيْـــــنَ السَّـــــلاطينِ

وردُ البهـــــا زوجتـــــى ∴ قالـــــت تلاغينـــــى

ابْعَـــــثْ ســـــلامى إلى ∴ كـــــلّ المحـــــبينِ

أوّل رمـــــوز الطبـــــول ∴ ســـــلَّم علـــــى الســـــلطان

إلى الهـــــلالى حســـــن ∴ ســـــلطان هلالـــــينِ

ثـــانى رمـــوز الطبـــول ∴ ســـلَّم علـــى القاضـــى
إلى ابـــن فايـــد أمـــير ∴ فـــى الفقـــهِ والـــدينِ

ثالـــث رمـــوز الطبـــول ∴ ســـلَّم علـــى زوجـــى
جـــبر القريشـــىِ مُنَـــى ∴ قلبـــى ونـــور عينـــىِ

آخـــر رمـــوز الطبـــولْ ∴ أيـــا عَـــرَبْ هيَّـــا
أمـــير جيـــوش العـــرب ∴ أبـــو زيـــد الهلالـــينِ

بـــلا ســـلاح وأضْـــ ∴ حـــى خاليًـــا هيَّـــا
أضـــحى وحيـــدًا وحيـــ ∴ دًا فـــى الميـــادينِ

قال الراوى :

قَرَعَـــتْ طبـــولُ الحـــربِ .. ركبـــوا عـــرب الهلاليْـــة
وزيـــدان بـــن زيّـــان .. ابـــن ريـــان العـــرب .. جـــاب المهـــرة العامريـــهْ
قـــال الأمـــير زيـــدان .. جـــايز الحصـــان يكـــون تعبـــان .. خـــالى يقـــول هـــاتوا العامريـــهْ
زيـــدان لَّمـــا للحمـــرا ركبهـــا .. عِصِـــيتْ منـــه ضـــربْها
لمـــا مـــا لقـــتش صـــاحبها .. بـــين الفرســـان راكبهـــا .. غضـــبت منـــه العامريـــهْ
زيـــدان ضـــرب العامريـــة .. صـــهلتْ صَـــهْلة عَليّـــهْ
سمعهـــا صـــاحبها .. فـــى داخـــل البلـــد .. قـــال : مـــين اللَّـــى راكبهـــا
ونادى على العامريهْ :

العامريـــة مـــع مـــين ؟ قـــالوا مـــع زيـــدان يـــا بـــاتعين .. عاصـــيه منـــه العامريـــهْ
أبـــو زيـــد قـــال للعامريـــة : يـــا عامريـــة عاصـــية ليـــه ؟ عاصـــية زيـــدان مـــن شـــان إيـــه ؟
واجـــب عليـــك تطاوعيـــهْ .. تعـــالى يـــا عامريـــة .. وانقـــادت لـــه العامريّـــهْ

ودخل الهلالية عنوة .. وفتح باب تونس لتخرج منه الجمال وما عليها من الهوادج وبها بنات الأشراف العقيلات القرشيات .. بين الزغاريد وأغانى الأفراح .. بالرغم من الزناتى وجيوش بنى حَمْيَرَ

قال الراوى : وهنا امتطى أبو زيد فرسه العامرية فانقادت له وأخذت تصهل وترقص وقفزت لأعلى بأرجلها الأمامية فرحة بصاحبها ورفعت رأسها عاليا .. ثم أخذت تدير رأسها يمينا وشمالاً وأعلى وأسفل كأنها فى ذكر لله وشكر له .. وتشكر الله على سلامة صاحبها ولقائه بها .

كل ذلك والزناتى خليفة ينظر ويتعجب ويضرب كفًّا بكف ولا يصدق ما يرى .. الفرس كأنما تتحدث مع صاحبها .. تكاد ترقص وتغنى فرحاً وتهز رأسها لأعلى وأسفل كأنما تذكر الله

وتساءل الزناتى : ما أمر هؤلاء القوم ؟

إنه فعلا يريد أن يعرف أمر هؤلاء الأشراف من القوم العظماء .. وعرف أن عظيم جيوشهم هو الأمير أبو زيد الهلالى سلامه الذى سجنه وأذله دون أن يدرى أمره .. فمن هؤلاء الناس ؟

الزناتى يتساءل: يا رفاقى يا بنى حَمْيَرُ يا
يا وهيدى يا ملوكَ المغْرِبِ

أعلمونى خَبَرًا عن أصْلِهِمْ
أرض نجدٍ فى بلادِ العربِ

أبو زيد : إن تسَلْ يا حَمْيَرِى عن نَسَبِى
قدْ تجاهلْتَ الذُّرا والشُّهُبِ

فتعالى يا زناتى ها هُنا
كىْ أُوافيك بخير الْحَسَبِ

لا تَظُـــــنَّنَ ســـــوادى عـــــابنى
فأنـــــا المِسْـــــكُ علـــــىٌ النَّسَـــــبِ

إن قـــــومى تغلـــــبٌ رايـــــاتُهم
عاليـــــاتٌ بمـــــرورِ الحِقَـــــبِ

وبنـــــو بكْـــــرٍ . وأعْمـــــامٌ لنـــــا
خيْـــــرُ أجْنـــــادٍ ملـــــوكُ العـــــربِ

هزمـــــوا كســـــرى وإيوانًـــــا لَـــــهُ
فـــــى خصـــــيبٍ مـــــن زمـــــانٍ طيِّـــــبِ

وكُليْـــــبٌ وابـــــنُ كُلْثـــــومٍ وكُـــــلٌّ
... شـــــريفٍ وعفيـــــفٍ وأبِـــــى

نحـــــنُ أشـــــرافٌ تجمَّعْنـــــا علـــــى
بـــــارقِ الشـــــرقِ ونـــــورِ المغـــــربِ

سَـــــلْ بنـــــى المنْـــــذِرِ عـــــن أيَّامِنـــــا
سَـــــلْ بنـــــى غسَّـــــان خيَـــــر النُّجُـــــبِ

واحْـــــذرِ اللَّغْـــــوَ زنـــــاتى يـــــا فتَـــــى
والْـــــزمِ الصَّـــــمْتَ وحُسْـــــنَ الأدَبِ

سُـــــمْتنا خسْـــــفًا بسِـــــجْنٍ ضـــــيِّقٍ
ضـــــمَّ مِنَّـــــا كـــــمْ نجيـــــبٍ أنْجَـــــبِ

وبتْـــــــدبيرٍ .. وعقـــــــلٍ صـــــــائبٍ
خـــــرجَ الجمْـــــعُ ســـــعيدَ الموْكِـــــبِ

وأتيْنـــــــا بأســـــــودٍ دَمْـــــــدَمَتْ
تبْتغِـــــى ثـــــأْرًا بسَـــــحْقِ الثّعلـــــبِ

فلما سمع الزناتى من أبو زيد هذا الكلام امتطى جواده وأعد نفسه للحرب والطعان .. ونزل إلى الميدان يبتغى الحرب والصدام.

قال الراوى :

أمـــــا الزنـــــاتى خليفـــــة سمِـــــع الشَّوْشـــــرهْ
ورأى العـــــرب هجمـــــوا علـــــى البنايـــــاهْ

هجـــمْ ببنـــى حَمْيَـــرْ وتقـــدَّم بـــلا مَهَـــلْ
زيـــدان قـــال : يـــا خـــال ســـيبنى هنـــا ويّـــاهْ

يـــا خـــال أنـــا نفســـى أحـــارب الزنـــاتى خليفـــه
قـــال لـــه : يـــا واد ده مُـــشْ ســـهل هِنـــاهْ

يـــا واد زنـــاتى خليفـــة مُـــشْ ســـهل يـــا محـــترمْ
ده فـــارس صـــميدع والله مـــا مِثلُـــهْ جـــاهْ

خليفـــهْ يـــا واد مـــا جـــابتهوشْ مِقَمَّعَـــهْ
ده أسَـــدْ كاســـر يـــوم الـــوغى تلقـــاهْ

خليفـــة كمـــا غليـــون فـــى بحـــر مـــالحْ
يصـــيّف بيـــدُّه كـــلّ شـــابٍ أتـــاهْ

إن غَلْبنتْ لـه يركن البّر بلا مَهَلْ
ولَمّ حَبْل المعركة .. وطواهْ

إنْ مَرْ يستْ لُهْ دَوّس الشَّعْب والْحصَى
وينْسَى الجميل اللى فعلته معاهْ

يهجم على الوقعَهْ .. ويضْمَنْ قُرونَها
والحبلْ عنده .. والرُّباط حَدَاهْ

إنزل يا زيدان وقابِلُهْ .. وإن زاد عليك الريح
قل: يا سلامهْ .. أَجِى لك كما بحر وفكُّوا غُماهْ

نزل زيدان المعركة بَلَا مهلْ
هذا مثل حلمٍ ويتمنَّاهْ

هجم عليه الزناتى كما سبع كاسرْ
الواد هلالى وبا لفنون لقاهْ

مَرَّهْ فى مَرَّه .. لما الزناتى بَقَى نَوَّهْ فى نَوَّهْ
وجَهّزْ حبالُه .. وللقيود نواهْ

زيدان يشرَّق .. يغرَّبْ
الزناتى كما سبع كاسِرْ فى الميدان وراهْ

زَعَقْ وقال: يا خال أدْركنّى
أغثْنِى يا خال .. البحر صار هائجاهْ

نـزل الهـلالى سـلامهْ علـى العامريـة كمـا نِسْـر جـارحْ
يلاقـــــى الصـــــميدع وبـــــالفنونِ رمـــــاهْ

فـــى كـــلّ مـــرَّه بطـــل يلاقـــى بطـــلْ
لّمـــا الخيـــول كلّـــتْ .. طلعـــوا إلى الخـــلاواه

إنْ كـــرّ ســـلامة .. فـــرّ الزنـــاتى
فـــى لمـــح البصـــر يلقـــى أبـــو زيـــد وراهْ

نـــادى الزنـــاتى: نِحْـــتكم
قـــال لـــه أبـــو زيـــد: الحكـــم للأُمـــراهْ

أمـــراء الحـــرب حكمـــوا بالمصـــالحه
والصـــلح بعـــد الحـــرب والملاقـــاه

❁❁❁❁❁❁

وانتهى القتال بين البطلين بحكم الأمراء وأخذ أبو زيد فرسه العامرية واتجه إلى البوابة ليكمل مهمته، فوجد الجمال والهوادج وبنات الأشراف يسلمن على جبر القريشى. ووجد ورد البهاء وزوجها جبر قد وصلا إلى ذروة التأثير بالبكاء والنحيب والأحضان والإغماء .. زوجان لم يشاهد كل منهما الآخر منذ أحد عشر عاما سبحان الله .

وتحرك الموكب إلى خارج المدينة لمعسكر بنى هلال وكذلك الجيش الذى أتى لنجدة أبى زيد تحرك الجميع بقيادة ابى زيد وحوله فرسان بنى هلال الأبطال الأشداء الشجعان.

نشيد الانتصار

أبو زيد ينشد نشيد الانتصار والرجال يردون عليه ويتجهون إلى المعسكر :

أبو زيد : دعـــونى إلـــى وصـــف أقمارِهـــا

الفرسان : بعـــــذب القـــــوافى ومختارِهـــــا

أبو زيد : وكُفُّـــوا عـــن اللَّـــوْم إنّـــى مُحِـــبٌّ

الفرسان : تغنَّـــــــى بعشْـــــــقٍ لسُـــــــمَّارِها

أبو زيد : تفـــــيض المعـــــانى إذا رُمْتُهـــــا
جنانًـــــا تمـــــيس بأثمْارِهـــــا

ويـــــا رُبَّ يـــــومٍ أتـــــى فِتْيـــــةٌ
وجوهًـــــا تَهـــــلُّ بأنوارِهـــــا

بقلْـــــبٍ نقـــــىٍّ .. وعقْـــــلٍ زكـــــىٍّ
كعقْـــــل الشـــــيوخ وأحبارِهـــــا

الفرسان : لنحمـــــى العقـــــيلاتِ مـــــن قومنـــــا
شُموسًـــــا لتسْـــــطَعَ فـــــى دارِهـــــا

فهُـــــنَّ نهـــــارًا كشـــــمْسِ الصَّـــــباح
وعنـــــد اللَّيـــــالى كأقْمارِهـــــا

فأشـــــرافنا مثـــــل أكبادنـــــا
ونـــــور العيـــــون وإبْصـــــارِها

أبو زيد : وســـــلطاننا كـــــمْ بأصْـــــلٍ وجـــــودٍ
كمـــــاءٍ يفـــــيض بأنهارِهـــــا

وفـــــى العـــــدل قُـــــلْ هـــــو خطَّابُنـــــا
وقـــــل كالسُّـــــيوفِ وبتَّارِهـــــا

الفرسان : وأنـــتَ أبـــا زيـــدُ جئـــت بنصـــرٍ
وفـــى السَّـــبْقِ فُـــزْتَ بمضـــمارِها

عـــدولٌ رقيـــبٌ أمـــينٌ زكـــىٌّ
إذا مـــا أدْلَهَمَّـــتْ بإعصـــارِها

جـــذبْتَ القلـــوب إليـــك بـــودٍّ
عزفْـــتَ برِفْـــقٍ بأوتارِهـــا

فكنـــت كمـــا الـــنَّجْمِ فـــى سَـــعْدِهِ
ونحـــن الثُّريَّـــا بأنوارِهـــا

ضـــرْبْتَ مثـــالا لـــزيْن الْخـــلاقِ
وكـــم أنـــت رمـــزٌ لإيثارهـــا

ونحـــن بـــذور الأُلَـــى الفاتحينـــا
وفـــى الحـــرب مـــن خيْـــرِ أخيارِهـــا

نَمُـــدُّ الأيـــادى لعـــوْن الـــبلادِ
بخـــوْفِ القـــديرِ وجبَّارِهـــا

وأنـــت أبـــا زيـــد قُـــدْتَ قبـــيلاً
فجـــادَتْ وأعطـــتْ بأثمارهـــا

فأضْـــحتْ جنانًـــا وأهـــدَتْ عُطـــورًا
تفـــوحُ ابتهاجًـــا بآذارِهـــا

وتـــــونس أضـــــحت لنـــــا جنَّـــــةً
ورضـــــــوان يُهـــــدى بأثْمارِهـــــا

أبو زيد : وأضـــــحت هـــــلالٌ كمـــــا قِبْلَـــــةٍ
لثـــــأْرِ الرجـــــال بإعصـــــارها

يبيتـــــون ليْلًـــــا علـــــى هِمَّـــــةٍ
قيامًـــــا ســـــجودًا بأســـــحارِها

نقـــــيمُ صُـــــروحًا لِعـــــدْلٍ وعِلْـــــمٍ
وديـــــن مزيـــــلٍ لأكـــــدارِها

عقـــــيلاتُ أشـــــرافنا عائـــــداتٌ
ودان السَّـــــــــفين لبحَّارهـــــــا

وجـــــادت قريحـــــةُ كـــــلّ أديـــــبٍ
وكـــــمْ مِـــــنْ أميـــــرٍ لأشـــــعارِها

ويـــا جَبْـــرُ قـــدْ حُـــزْتَ سَـــعْدًا وبشْـــرًا
بـــــورْد البهـــــاء .. وأنوارهـــــا

❁❁❁❁❁❁

تمت مسرحية بنات الأشراف

نظمها

عبدالعزيز عبدالمجيد النجار

٢٠١١/٧/٢٠م